مؤمنون بلا حدود
Mominoun Without Borders
للدراسات والأبحاث www.mominoun.com

محاورة أوتيدام في المغالطات

أفلاطون

ترجمة:
سعيد الجابلي

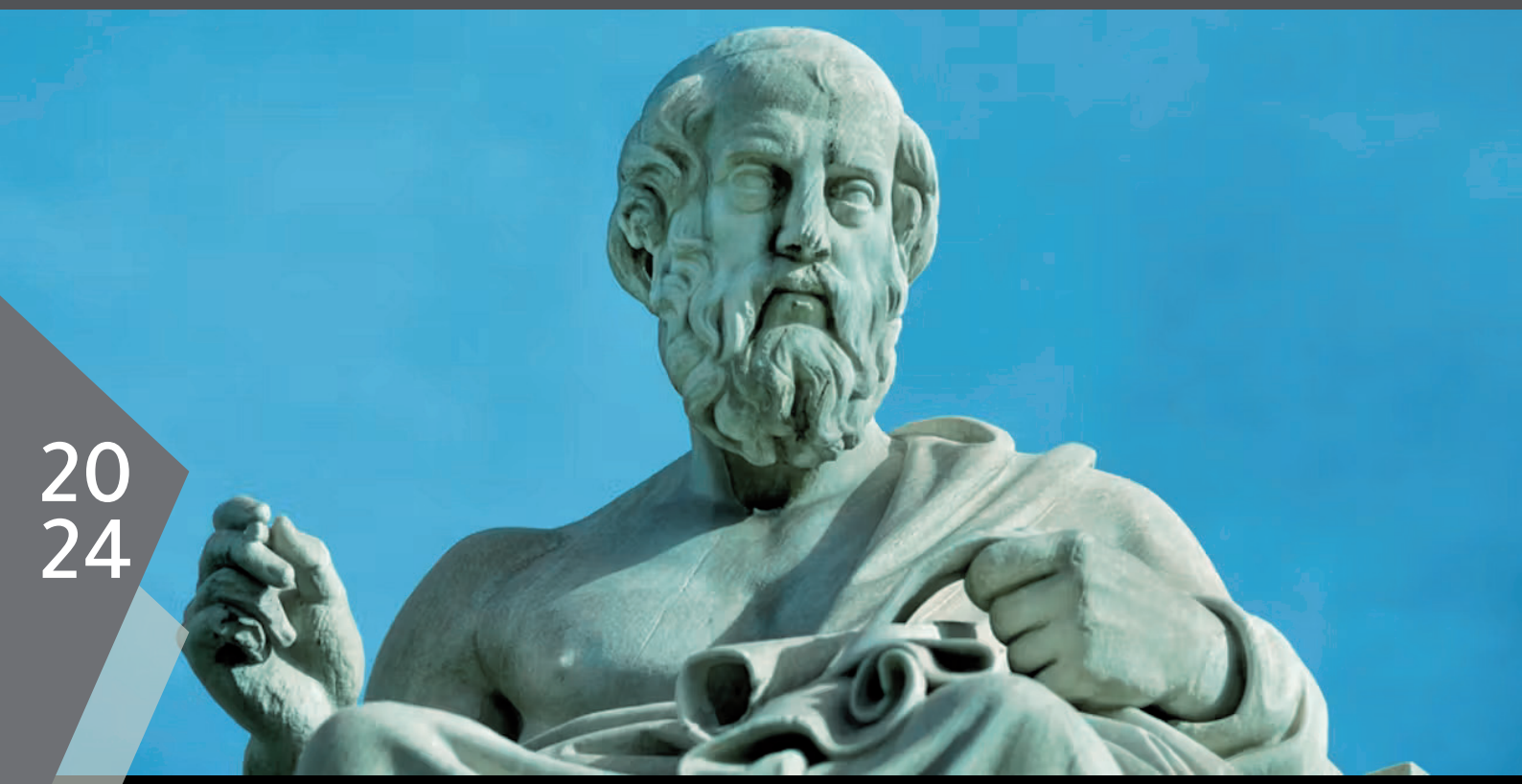

2024

www.mominoun.com

- **ترجمة**
- **قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية**
- 12 مارس 2024

جميع الحقوق محفوظة © 2024

محاورة أوتيدام في المغالطات

أفلاطون

ترجمة: **سعيد الجابلي**

«أكيد لا تفصح الترجمة عن كلّ شيء بل تكشف دائما وأبدا على شيء ما»
بول ريكور، التاريخ والحقيق

نبذة حول محاورة أوتيدام:

ا- شخصيات محاورة أوتيدام:

هذه المحاورة هي حوار يرويه سقراط Socrate لأقريطون Criton، دار بينه وبين سفسطائيين هما أوتيدام Euthydème (الذي تحمل المحاورة اسمه) وأخوه ديونيزودور Dionisodore بمشاركة كلينياس Clinias وستيزيب Stésippe:

- سقراط: في محاورات أفلاطون سقراط هو الذي يدير الحوار ويوزع الكلمة. يتظاهر بالجهل، ليحمل محاوريه على الاعتراف بجهلهم. وفي هذه المحاورة يكتفي بفضح السفسطائيين أوتيدام وديونيزودور، ويدفع بالسخرية إلى حدّ أن يطلب من صديقه أوقريطون أن يستعدّ لتلقي دروس معه من هذين السفسطائيين الذين تفنّن في بيان تفاهة علمهما ومدى جهلهما (كان بإمكان سقراط في هذه المحاورة أن ينتهي إلى تعريف للفضيلة يضع حدّا للحوار مع هذين السفسطائيين، ولكنّه فضل مواصلة الحوار معهما للآخر لفضح ألاعيبهما وبيان تفاهتهما).

- أقريطون: صديق لسقراط من زمن بعيد، يروي له سقراط الحوار الذي دار بينه وبين السفسطائيين، أوتيدام وديونيزودور بمشاركة كلينياس وستيزيب.

- أوتيدام وديونيزودور: سفسطائيان مغروران من كيوس Chios، يدّعيان المعرفة والقدرة على تعليم الفضيلة. أوتيدام هو الأصغر ولكنّه الأذكى. أمّا ديونيزودور فهو الأقلّ ذكاء، يكتفي باتباع أوتيدام، وبتدخّلاته العشوائية يفسد أحيانا خطط أوتيدام.

- كلينياس: هو ابن أكيوكوس Axiochos وابن عمّ القيبيادس Alcibiade، مبتدئ في الفلسفة، لم يجد أوتيدام وديونيزودور في البداية صعوبة في الإيقاع به بواسطة أغاليطهم (انظر الفصل الأول)، ولكنّه بعد استفادته من نصائح سقراط، وبتوجيه منه، استطاع أن يحرز تقدّما في توجيه بحثه (انظر الفقرتين VII و VIII).

- ستيزيب: أصيل قرية باينيا Paeania، يشارك أيضا في محاورة «ليزيس» Lysis بوصفه ابن عم منكسان Ménexène. يبدو حادّ الطّبع، وسرعة غضبه تجعله صعب المراس على السفسطائيين، لا يطيعهما بيسر، بل إنّه استطاع بسلاحهما أن ينتصر عليهما (انظر الفقرتين XXIV وXXV).

II- تخطيط محاورة أوتيدام:

هذه المحاورة، كما يرى بعض النقاد، هي بمثابة مسرحية كوميدية في خمسة فصول يرويها سقراط لأقريطون، مسبوقة بتوطئة في شكل حوار بين سقراط وأقريطون:

- **التوطئة:** رأى أقريطون في اليوم السابق سقراط يتحاور مع غريبين وقد التفّ حولهم جمع غفير من الناس، ولذا فهو يسأله عن هوية هذين الغريبين. فيعلمه سقراط بأنّ الأمر يتعلق بسفسطائيين مشهورين هما أوتيدام وديونيزودور، يقولان إنّهما يعرفان كلّ شيء ويستطيعان تلقين علمها لكل من يريد تعلمه. وعلى هذا، أخذ سقراط في نقل الحوار الذي دار بينه وبين هذين بمشاركة كلينياس ستيزيب.

- **الفصل الأول:** في هذا الفصل الذي يبدأ مباشرة بعد التوطئة، يروي سقراط كيف أظهر كل أظهر أوتيدام وديونوزيدور قدرتهما على الإقناع للحاضرين، وبصفة خاصة لكلينياس، من خلال إثبات أنّه بإمكانهما – بنفس المهارة - الإقناع بالقضية ونقيضها.

ولكن سقراط، في نهاية هذا الفصل وفي استراحة تسبق الفصل الثاني- الفاصل الأول -، يبين لكلينياس أن هذين السفسطائيين لم يستطيعا مغالطته إلا لأنهما يتلاعبان بمعاني كلمة "تعلم" التي تعني حينا معرفة ما لا نعرف، فيكون "الذين يتعلمون هم الذين يجهلون"، وحينا آخر تدقيق ما نعرف لفهمه، فيكون "الذين يتعلمون هم العارفون". في هذه الاستراحة أيضا يقول سقراط لكلينياس إنّ هذين السفسطائيين يمزحان وأنهما من الآن فصاعدا سيبدآن في الأشياء الجدية.

- **الفصل الثاني:** لوضع السفسطائيين على الطريق الصحيح، يأخذ سقراط في الحوار مع كلينياس حول مسألة السعادة، فيوجه الحوار بكيفية منهجية ومتدرجة حول الخيرات الضرورية لتحصيل السعادة، مبينا أنه لا يكفي أن تكون للمرء خيرات كبيرة ليكون سعيدا، يجب أيضا أن يحسن استخدامها لتكون مفيدة له، وهو ما يستلزم الحكمة. ولكن كيف، يتم تحصيل الحكمة، وهل تتعلم؟

في نهاية هذا الفصل، استراحة ثانية - الفاصل الثاني-، يطلب فيها سقراط من أوتيدام وديونيزودور النسج على منواله ليبيّنا لكلينياس الطريقة التي عليه توخيها ليصبح سعيدا وفاضلا.

- **الفصل الثالث:** يبدأ هذا الفصل بدخول السفسطائيين في حوار مع كلينياس كان من المنتظر أن ينسجا فيه على منوال سقراط، فيشرعان بتحديد موضوع البحث ويتدرجان في تناوله بمنهجية، ولكنهما

انطلقا في مناقشات هامشية، وبدآ في التلاعب بالكلام ومعاني الألفاظ: تريدون أن يصبح هذا الفتى حكيما، قال ديونيزودور لسقراط؛ أي تريدونه أن لا يكون ما كان، أنتم تريدون إذن موته، وهو ما أثار غضب ستيزيب، ودفع بسقراط إلى التدخل مبينا تناقض هذين السفسطائيين الذين ينتميان إلى مدرسة بروطاغوراس Protagoras الذي يرى استحالة الخطإ: إذا كان أوتيدام ودينيزودور عالمين حقا وإذا كان ما يقولانه صحيحا طبقا لتعاليم بروطاغوراس، فكلّ إنسان بالنتيجة عالم، وإذن ما قيمة علمهما وما الفائدة منه؟

- **الفصل الرابع**: أخذ سقراط من جديد في الحوار مع كلينياس ليرى السفسطائيين كيف يجب أن يكون النقاش، وكيف يمكن تثقيف كلينياس، لا بالتلاعب بالكلام، بل بالاستقصاء المنهجي لموضوع البحث. عندها أظهر كلينياس استفادة مدهشة من توجيهات سقراط، واستطاع أن يعدّل حتى بعض أفكار سقراط نفسه ممّا أثار تعجّب أقريطون.

في هذا الفصل ثمة تقدم نحو حلّ لمسألة كيف يمكن أن يصبح المرء حكيما وفاضلا، ولكن سقراط لا يتعجل في تقديمه، بل يدّعي حتى عجزه عن التوصل إلى حل لهذه المسألة، فهو يتظاهر دائما بالجهل وبحدود معرفته، ليتمكن على نحو أفضل من إظهار جهل الذين يدعون المعرفة، وهو ما سيتبين بوضوح من خلال الفصل الخامس والأخير الذي سيفضح فيه دغمائيّة أوتيدام وديونيزودور، ومن خلاله دغمائيّة كل السفسطائيين ومغالطاتهم.

- **الفصل الخامس**: في هذا الفصل يواصل سقراط فضح أغاليط السفسطائيين مبينا كيف أنهم لا يكترثون بضرورة الالتزام بموضوع البحث، وتحديد معاني الألفاظ، وبناء حجج سليمة، بل همّهم هو الفوز بالموافقة. كما يبين كيف أنّ مناقشاتهم تتحول إلى سب وشتم ومس بالأشخاص عوض أن تكون مقارعة للحجة بالحجة في سبيل استجلاء الحقيقة.

III- في القيمة الفلسفيّة لمحاورة «أوتيدام»:

نتبين من خلال محاورة «أوتيدام» مخاطر اللغة عندما تستخدم في المغالطة، ولكنّنا ندرك أيضا بكيفية غير مباشرة قيمتها عندما تستخدم استخداما صحيحا في التفكير مع الآخرين ومن أجلهم، شرط الوعي بالمغالطات واحترام اجراءات التفكير وإتيقا النقاش. فباللغة يمكن للبشر أن يفكّروا معا في قضاياهم المشتركة، سياسية كانت أو أخلاقيّة، وبإمكانهم أن يحققوا الوفاق بينهم، شرط أن تتوفر إرادة الوفاق. ولا تتوفر إرادة الوفاق إلا بالكفّ عن المغالطة، وهو ما يستوجب بيان آلياتها والتنبيه إلى مخاطرها وضرورة الوعي بها كما يفعل سقراط مع أوتيدام وديونيزودور لتنبيه كلينياس، ولكنّ إرادة الوفاق تستلزم أيضا أن ينصت الناس حقا إلى بعضهم البعض، وأن يلتزموا بموضوع النقاش، وأن يتحاوروا حوارا حقيقيا يقوم على تحديد واضح للمفاهيم واتفاق على المشكلة والمطروحة، واعتماد حجاج صحيح، وليس على التلاعب بمعاني الكلمات إذ كما يقول سقراط عن هذا التلاعب متوجها إلى كلينياس: "أقول جيدا: هذا لعب، إذ مهما كثر عدد ما نتعلمه من الأشياء من هذا

القبيل، وحتى إن تعلمناها جميعا، فإنّ ذلك لن يزيد في معرفتنا بطبيعة الأشياء". ولكن إرادة الوفاق تقتضي أيضا أن نحترم بعضنا البعض في النقاش وأن لا يتحول نقد الأفكار إلى نقد للأشخاص، أو أن تتحول اللغة إلى وسيلة لصنع شباك نوقع فيها

الآخرين للتحكم في أفكارهم وعواطفهم أو تحريضهم على العنف أو النزول بهم إلى مرتبة "الدمية الآلية» كما هو الشأن اليوم. فمحاورة أوتيدام رغم مرور قرون عديدة عليها لا تزال راهنة، لأن مشكلنا اليوم، هو أيضا اللغة التي غدت في مناسبات عديدة أداة مغالطة وهيمنة وتحريض على العنف والكراهية، بينما المفروض أن تكون أداة وفاق. فلا يكون هنالك حوار حقيقي، ولا إنصات متبادل لما يقال، بل تلاعب عشوائي بالكلام يعضده تلاعب عشوائي بالصور، مما أزاح الكثير من الفضائيات ووسائل الإعلام عن رسالتها التثقيفية لتصبح سفسطة جديدة متعددة الرؤوس كالهيدرة L'hydre التي يحدثنا عنها سقراط في هذه المحاورة (انظر الفقرة XXIII).

شخصيات التوطئة

سقراط - أقريطون

شخصيات المحاورة

سقراط - أوتيدام - ديونيزودور - كلينياس – ستيزيب

التوطئة:

يعلم سقراط أقريطون أنّ الرّجلين الذين رآهما بالأمس هما أوتيدام وديونيزودور، وأنّهما سفسطائيان بارعان يعرفان كلّ شيء ويستطيعان تلقين علمهما لكلّ من يريد.

أقريطون

I- من كان، يا سقراط، الرجل الذي كنت تتجادل معه بالأمس في اللوقيوم[1]؟ لقد كان احتشاد الناس حولكم من الضخامة حيث إنّني، رغم محاولتي الاقتراب منكما لأسمعكما، فقد استحال عليّ أن أسمع أي شيء بوضوح، غير أنّني بمديد عنقي استطعت أن أرى، وبدا أنّ الذي كنت تتجادل معه هو رجل غريب، فمن كان؟

سقراط

عن أيّهما تتحدّث، يا أقريطون؟ إذ لم يكن هنالك رجل واحد، بل اثنان؟

أقريطون

الرجل الذي أتحدت عنه كان جالسا على يمينك، الثالث ابتداء منك، وبينكما كان هنالك فتى صغير السن، ابن أكيوكوس Axiochos، لقد بدا لي أنه ترعرع كثيرا عمّا كان وأنّ له تقريبا سن ابن أقريطوبول Critobule. لكنّ ابني نحيف، أمّا هذا الفتى، فقوي البنية جميل المظهر وحسن الهيئة.

سقراط

إن الذي تريد أن تعرف اسمه، يا أقريطون، هو أوتيدام. والذي كان جالسا حذوي، على يساري هو أخوه ديونيزودور الذي كان، هو أيضا، يشارك في الحوار.

أقريطون

---

1 اللوقيوم Le lycée - Lyceum — كان قاعة لتعاطي الرياضة البدنية في الشمال الشرقي لأثينا، قرب معبد أبولون اللقيومي - Apollon ly-cien-، من هنا اسم «اللقيوم». أعطى أرسطو فيما بعد دروسه في هذا المكان.

لا أعرف لا هذا ولا ذاك. إنّهما على ما يبدو سفسطائيان جديدان. من أي بلد هما وأي علم يعلمان؟

سقراط

إنّهما، حسب ما أعتقد، من هناك، من مكان ما في كيوس Chios، هاجرا منه إلى تيريوم Thurium[2]، ولكنّهما نفيا منها وهما الآن يقيمان قريبا من هنا منذ سنوات عديدة بعد. أمّا فيما يتعلق بعلمهما الذي تسأل عنه، فهو علم رائع، يا أقريطون. إنهما ببساطة ملمّان بكل شيء وقد كنت إلى حد الآن أجهل أن ثمة من باستطاعتهم أن يلمّوا بكل شيء. هذان الرجلان على تمام الاستعداد لخوض كل أشكال المعارك، وليسا كأخوينا الأكرنين nos frères acarnaniens[3] المصارعين الذين لا يستطيعان المصارعة إلا بجسمهما. إنّهما أولا ماهران جدا في التمارين البدنية وينتصران في كل معركة على كل منافس؛ إذ يحذقان استخدام السلاح ويقدران على نقل براعتهما لكل من يدفع مالا مقابل ذلك، ثم إنهما يعدّان أستاذين في الثبات والمقاومة خلال النزاعات أمام المحاكم، وكذلك تعليم الآخرين كيف يتكلمون ويؤلفون الكلام الخاص بالمحاكم. في هذا تمثل إلى حد الآن حذقهما. أمّا اليوم، فإنّهما توجّا فنّ المصارعة. لم يبق إلا نوع واحد من المصارعة لم يجرباه: واليوم خاضاه بكيفية لم يستطع معها أيّ من الحاضرين حتى أن يرفع يده اعتراضا عليهما لفرط حذقهما المقاومة بالكلام ودحض كل ما يقال[4]، الصحيح والخاطئ على حدّ سواء[5]. في ما يخصّني أنا، يا أقريطون، أنوي أن أسلم أمري إلى هذين الرّجلين؛ إذ يقولان إنّ باستطاعتهما في وقت وجيز أن يعلما حذقها إلى أيّ كان.

أقريطون

كيف، يا سقراط ؟ أفي سنّك ؟ ألا تخشى أن لا يكون سنّك مناسبا لهذه الأشياء ؟

سقراط

لا أبدا، ثمة من سبقني إلى ذلك وهذا ما يكفي لطمأنتي وتشجيعي، فعندما بدأ هذان الرجلان في اكتساب هذا العلم الذي أتمنّى تعلمه، والذي يسمّى «فنّ المجادلة»[6]، كانا - بمنطوق الكلام - متقدّمين في السنّ. قبل سنة أو سنتين كانا يجهلانه. خشيتي الوحيدة أنا، هي أن أسبّب الخجل لهذين الغريبين، كما لكونّوس

2 مدينة تأسست حوالي 443 قبل الميلاد على أنقاض مدينة سيباريس Sybaris، بعث إليها باريكلاس Périclés مستوطنين أثنيين ودعا كلّ اليونانيين إلى المساهمة في اعمارها.

3 منطقة أكرنانيا Acarnanie، منطقة يونانية قديمة، يعرف أهلها ببطشهم ومحبتهم للقتال، ولكن لا توجد وثائق للتعريف بدقة بهذين الأخوين.

4 يشبّه سقراط السفسطة بالمصارعة، ولكنّها مصارعة بالكلام لا بالأجسام.

5 يسخر سقراط، من خلال أوتيدام وديونيزودور، من السفسطائيين لأنّهم يدحضون كل الآراء دون تمييز، الخاطئ منها والصحيح.

6 "فن المجادلة"، هو القدرة على إثبات القضية وعكسها بنفس البراعة. وهو فن يتفوق فيه السفسطائيون كما سيبين ذلك سقراط في بقية المحاورة (انظر خاصة «الفصل الأول»).

Cannos[7]، ابن ميتروبيوس Métrobios[8]، عازف القيثارة، الذي لا يزال إلى حد الآن يقدم لي دروسا. فعندما يراني الأطفال الذين يقصدون مدرسته بجانبه، يسخرون مني ويقولون عن كونّوس إنّه معلّم شيوخ. لذا فأنا خائف من أن أسبب الإهانة لهذين الغريبين، بل يحتمل أنهما، هما أنفسهما، قد لا يوافقان على قبولي، كتلميذ لنفس السبب. لكني أنا، يا أقريطون، أقنعت أشخاصا آخرين، متقدمين في السن، بالمجيء هناك ليتعلموا معي الموسيقى، وسأحاول إقناع آخرين بالمجيء هنا. أنت بالذات لماذا لا تأتي معي إلى مدرستهما؟ لدينا أطفالك لإقناعهما، وأنا متأكد أنهما سيصادقان على قبولنا نحن أيضا كتلاميذ.

أقريطون

لا أرى مانعا، يا سقراط، إذا كنت ترى أن ذلك حسن، لكن اشرح لي أولا فيم يتمثل علم هذين الرجلين، حتى أعرف أيضا ماذا سيعلماننا.

الفصل الأوّل:

سقراط

II- هذا ما ستسمعه الآن، فأنا لا أستطيع قول إنني لم أنتبه لحديثهما؛ إذ إنني على العكس من ذلك انتبهت أقصى انتباه وأتذكر جيدا ما سمعت. سأحاول إذن أن أنقل إليك من البداية كل ما قالاه. بصدفة ربانية، كنت جالسا حيثما رأيتني. كنت بمفردي في حجرة الثياب، وكنت أفكر في النهوض للمغادرة، وكنت بالفعل بصدد النهوض عندما جاءتني الإشارة الربانية المعهودة[9]، فجلست إذن. بعد برهة، دخل هذان الرجلان، أوتيدام وديونيزودور، ومعهما حشد من الناس، أتباعهما حسب ما بدا لي. بعدما دخلوا، تجوّلوا في الرواق المغطى، ولم ينهوا دورتين أو ثلاث حتى دخل كلينياس، هذا الذي وجدت، بحق، أنه ترعرع. لقد كان متبوعا بحشد من الأحباء، منهم، ستيزيب، شاب جدّ صغير من بابيينيا Paeania[10]، جميل الطبع حسن الخلق، عدا بعض الوقاحة، الناتجة عن سنّه. ما إن رآني كلينياس من المدخل، جالسا وحدي، حتى اتجه مباشرة نحوي وجلس على يميني، كما لاحظت. عندما رآه ديونيزودور وأوتيدام، توقفا أولا وتبادلا الحديث، وهما يلقيان من حين إلى حين نظرة في اتجاهنا - كنت أراقبهما باهتمام كبير، ثم قدما وجلسا، أحدهما، أوتيدام، بجانب الفتى الصغير، والآخر، بجانبي على اليسار. البقية أخذوا أماكنهم كما اتفق.

III- حييتهما، كما على شخصين لم أرهما منذ زمن بعيد، ثم توجهت إلى كلينياس قائلا: أقدّم لك يا كلينياس رجلين، أوتيدام وديونيزودور، الذين أؤكد لك أنهما عالمان، لا في الأشياء التافهة بل في أعظم الأشياء،

7 كان كونّوس بطلا من أبطال الألعاب الأولمبية، وفاز بعديد الميداليات. يشير إليه أيضا أفلاطون في محاورة «منيكزين» Ménéxène.

8. كان كونّوس بطلا من أبطال الألعاب الأولمبيّة، وفاز بعديد الميداليات. يشير إليه أيضا أفلاطون في محاورة: "مينيكزين" Ménéxène.

9 يتحدث سقراط عن هذه الإشارة أيضا في محاورة «الدفاع».

10 مكان بشرق أثينا كانت تعيش فيه قبيلة ستيزيب.

يعرفان بالفعل كلّ ما يتعلق بالحرب، وما يلزم ليصبح المرء لواء جيّدا، وفنّ الخطط والاستراتيجيا، وكل أشكال المعارك التي يجب تعلمها. بإمكانهما أيضا أن يصيّرا شخصا قادرا على الدفاع عن نفسه بنفسه في المحاكم إذا وقع ضحية لمظلمة».

غير أنهما أشفقا عليّ بسماعي أتحدّث على هذا النحو، وأخذا في الضحك معا وهما ينظران إلى بعضهما، وأجابني أوتيدام: "ما بهذا نهتمّ يا سقراط، لم يعد هذا بالنسبة إلينا إلا أمرا ثانويا."

وأنا، في غاية الاندهاش، قلت له: "لا بدّ أنكما تهتمان بشيء على غاية من الجمال حتى تبدو لكما أشياء هامة كهذه ثانوية. باسم الآلهة، قولا لي ما هذا الشيء الجميل الذي به تهتمان.

- الفضيلة، يا سقراط، أجابني. نعتقد أننا قادران على تعليمها أكثر من أي كان في العالم وهذا على نحو سريع[11].

- آه وحق زوس، صرخت، ماذا تعنيان بهذا الكلام ؟ أين عثرتما على هذه اللقية النفيسة؟[12] فيما يتعلق بي، الفكرة التي كانت لي دوما عنكما هي أنكما ماهران على وجه الخصوص في المعاركة بالسلاح، وهذا ما كنت أقوله عنكما؛ إذ عندما أتيتما إلينا أول مرة، أتذكر، هذا العلم هو الذي كنتما اليوم تملكان حقا العلم الذي تتحدثان عنه، تسامحا معي، فأنا أحيّكما كإلهين وأطلب منكما الصفح عمّا صدر مني من كلام. لكن فقط، يا أوتيدام وديونيزودور إذا كان ما تقولانه صحيحا، إذ بسماعكما تعدان مثل هذا الوعد الكبير ليس من الغريب أن نتحدى بعضنا.

- لا تشك في كلامنا، يا سقراط، قالا معا، إن الأمر هو كذلك.

- في هذه الحال، أحسبكما أسعد، بهذه الغنيمة، من الملك الأكبر بإمبراطورتيه. لكن قولا لي فقط: هل تنويان عرض علمكما علنا أمام الحاضرين؟ ماذا قررتما معا؟

- لهذا السبب بالذات نحن هنا، يا سقراط؛ نحن هنا لعرض علمنا وتلقينه لمن يريد تعلمه.

- "سيمثل هذا استجابة لرغبة كل من لا يملك هذا العلم - أضمن لكما هذا الأمر- وأنا أولهم، ثم كلينياس الذي تريانه، وأيضا ستيزيب الذي هو ها هنا، وكذلك كل هؤلاء الشبان الصغار». هذا ما قلته لهما وأنا أريهما أحباء كلينياس الذين التفوا بعد حولنا، حيث كان ستيزيب جالسا بعيدا عن كلينياس، على ما بدا لي، لكن أوتيدام، وهو يكلمني، كان ينحني برأسه إلى الأمام، حيث يخفي كلينياس عن ستيزيب. ولما كان ستيزيب

11 سيبين سقراط فيما بعد أنّ تعليم الفضيلة أمر جدّي لا يملك السفسطائيون أهلية الاضطلاع به، فعلمهم المزعوم «لعب». يقول سقراط، متوجها إلى كلينياس، في نهاية هذا الفصل، وبالتحديد في الفاصل الأول: إنني أدّعي أنهما يلعبان معك. أقول جيدا: هذا «لعب»، وهو يشير إلى تلاعب أوتيدام وديونيزودور بمعاني الكلمات للإقناع بالشيء وضدّه.

12 إذا تبين أنّ أوتيدام وديونيزودور يملكان فعلا القدرة على تعليم الفضيلة، فستكون تلك بحق «لقيّة نفيسة» بالنسبة إلى سقراط الذي يعطي قيمة لهذه المسألة ويرى أنها من الصعوبة بمكان، فسقراط يطرح أيضا مشكل تعليم الفضيلة في محاورتي «بروطاغوراس» و«مينون».

راغبا في رؤية من يحب، فقد قفز من مكانه واستوى واقفا ليقترب منّا يكون الأول أمامنا. وعلى منواله التف الآخرون حولنا، أحباء كلينياس، كما أصحاب أوتيدام وديونيزودور[13]. قلت إذن لأوتيدام، وأنا أريهم إياه، أنّهم كلهم مستعدون للتعلم. على هذا وافق ستيزيب بحماسة، والآخرون أيضا، وكلهم رجوا من الأخوين أن يُظهرا مستطاع علمهما.

IV- عندئذ استدركت قائلا: "يا أويتدام وديونيزودور[14]، عليكما بكل الطرق أن ترضيا رغبة هؤلاء الشبان وأن تلقيا أمامهم درسا تقديرا لشخصي. بالنسبة إلى أكبر جزء من علمكما، من البديهي أن عرضه لن يكون أمرا سهلا، لكن قولا لي: هل أنكما لا تستطيعان أن تردّا فاضلا إلا الشخص الذي اقتنع بعد بمتابعة دروسكما، أم إنّكما تستطيعان ذلك أيضا مع الذي لم يقتنع بعد بمتابعتها، لكونه بصفة عامة غير مقتنع بأن الفضيلة تتعلم أو بأنكما حقا معلما فضيلة ؟ وعلينا بالنسبة إلى من يفكر على هذا النحو أن نرى إن كان نفس الفنّ هو الذي يعتني بإقناع أن الفضيلة تتعلّم وأنكما أفضل من يعلمها أم إن الأمر يتعلق بفنّ آخر؟

- إنّه نفس الفنّ، أجاب ديونيزودور.

- حينئذ لا يوجد اليوم أحد غيركما يقدر مثلكما على حث الناس على تعاطي الفلسفة وممارسة الفضيلة.

هذا ما نعتقده على الأقل.

- حسنا، بالنسبة إلى ما تبقى سنستمع إليكما في مناسبة أخرى. أمّا الآن، فيمكنكما فقط القيام بما يلي: أقنعا هذا الفتى الصغير بضرورة تعاطي الفلسفة وتحصيل الفضيلة؛ ستسرّاننا، أنا والحاضرين؛ إذ، ذا هو حال هذا الفتى أنا نفسي وكل هؤلاء الفتية نرغب في أن يصبح أكمل ما يكون. أبوه، أكسيوس Axiochos، ابن ألقبيادس Alcibiade المتوفى وابن عمّ القبيادس الذي لا يزال على قيد الحياة، واسمه كلينياس. لا يزال صغيرا في السن ونخاف عليه، مثلما هو طبيعي، عندما يتعلق الأمر بفتى صغير. نخاف أن يسبقنا أحد إلى توجيه فكره نحو اهتمام آخر ويفسده. ما كان بإمكانكما أن تأتيا في وقت أفضل. إذا لم تريا مانعا اختبرا هذا الفتى، وادخلا في نقاش معه أمامنا».

- على هذا الكلام، الذي نقلته لك بكل دقة، تقريبا، أجاب أوتيدام بشجاعة وعزم: "لا أرى أي اعتراض، على أن يوافق الفتى فقط على الإجابة»[15].

---

13 إشارة غير مباشرة من سقراط إلى أنه سيرد على هذين السفسطائيين.

14 لا يفصل سقراط بين تعاطي الفلسفة وممارسة الفضيلة، لأنّ معرفتها - التي تتحقق بالفلسفة شرط لممارستها.

15 لا يريد أوتيدام أن يناقش كلينياس صيغة الأسئلة التي سيطرحها عليه أو أن يستفسره حول معاني بعض الكلمات، يريد منه أن يكتفي فقط بالإجابة حتى يقع في الفخاخ التي ينصبها له. وهو ما سيقوم سقراط بفضحه في الفصل الأخير، حيث سيحاول تصحيح الأسئلة التي يطرحها أوتيدام، ولكن هذا الأخير يؤاخذه ويطلب منه أن لا يسأل، بل فقط أن يجيب. هكذا يقول أوتيدام لسقراط: "هل أنك بما يجعلك عالما تعرف أم بشيء آخر؟، فيجيب سقراط: "بما يجعلني عالما. إذ أتصور أنك تتحدث عن النفس؛ أليس هذا ما تريد قوله ؟»، لكن أوتيدام يردّ عليه قائلا: "ألا تخجل، يا سقراط، من الإجابة على سؤال بسؤال؟».

- كلام صائب، قلت، وهو حتى متعود على ذلك، إذ كثيرا ما يأتي أولئك الفتية ليطرحوا عليه أسئلة ويتناقشوا معه، ولذلك لا تنقصه الثقة بنفسه عند الإجابة».

V- والآن كيف أستطيع أن أنقل إليك بأمانة ما حدث فيما بعد، ليس من السهل نقل تفاصيل هذه الحكمة الرائعة. لذا فأنا، كالشعراء، في حاجة، حتى أشرع في الكلام، إلى مساعدة الملهمات. ومهما يكن من أمر، إليك تقريبا، حسب ما أعتقد، من أين بدأ أوتيدام.

"من هم، يا كلينياس، الذين يتعلمون، العارفون أم الجاهلون ؟ على هذا السؤال المحرج[16]"، أخذ الفتى الصغير يحمرّ واتجه نحوي بعينيه وهو محتار. وأنا، لما رأيه مرتبكا، قلت له: "تشجع، يا كلينياس، أجب بجرأة بحسب ما تراه صائبا، فقد يخدم ذلك موقفك على نحو كبير.»

في الأثناء، انحنى ديونيزيدور قليلا نحو أذني، ووجهه منبسط بابتسامة، قائلا: "أعلمك، يا سقراط، مسبقا بأنّه مهما كانت إجابة هذا الفتى سيُدحض»[17].

وفيما كان يكلّمني على هذا النحو، كان كليناس يعطي بالذات إجابته، بحث ما كان بإمكاني حتى أن أحذره. لقد أجاب بأن العارفين هم الذين يتعلمون.

عندئذ سأله أوتيدام قائلا: "هل يوجد أم لا أناس تسميهم معلمين"؟

فوافق.

- المعلمون، أليسوا للذين يتعلـّمون، كالعازفين على القيثارة أو معلمي المدارس، أليس كذلك ؟ أليس هذا هو شأن معلميك ومعلمي الأطفال الآخرين عندما كنتم تلاميذ.

وافق أيضا.

- أليس صحيحا أنكم، عندما كنتم تتعلمون، كنتم لا تعرفون بعد ما تتعلمون؟

- لا، قال، كنّا لا نعرف.

- هل كنتم إذن عارفين، عندما كنتم لا تعرفون ما تتعلمون ؟

- قال، لا بكل تأكيد.

- إذن، إن لم تكونوا عارفين، فقد كنتم جاهلين.

16 يواصل سقراط سخريته من السفسطائيين.

17 السفسطائي لا تهمه نوعية الإجابة، ما يهمه فقط هو أن يظهر قدرته على دحضها بواسطة التلاعب بالكلام.

- هذا صحيح.

- إذن، بتعلمكم ما لا تعرفون، تثبتون أنكم كنتم جاهلين عند تعلمه.

بإشارة، أجاب نعم.

- الجاهلون إذن، يا كلينياس، هم الذين يتعلمون وليسوا العارفين كما تعتقد.

على هذه الكلمات، رد الناس الذين كانوا يتابعون ديونيزيدور وأوتيدام، في وقت واحد، كما لو كانوا ينتظرون إشارة من رئيس فرقة، بدوي من التصفيق تتخلله ضحكات صاخبة. ولم يجد الفتى وقتا ليسترجع أنفاسه على مهله حتى لقف ديونيزودور الكلمة بدوره ووجه إليه هذا السؤال: "قل لي، يا كلينياس، عندما كان المعلم يقرأ عليكم محفوظة بصوت مسموع، من كانوا الذين يتعلمونها، العارفون أم الجاهلون؟

- العارفون، قال كلينياس.

- العارفون هم إذن الذين يتعلمون، وليسوا الجاهلين، وأنت، منذ حين، لم تحسن الإجابة على سؤال أوتيدام.

VI- عندئذ تضاعف الضحك وتضاعف التصفيق بين أصدقاء هذين الرجلين الذين كان علمهما يثير الإعجاب، أمّا نحن، فقد أخرسنا التأثر. وعندما رأى أوتيدام اندهاشنا، أراد أن يزيد في إعجابنا، واستمر في استجواب الفتى، بلفّ أسئلته مرتين

حول نفس الموضوع، كراقص ماهر[18]:

- هل الذين يتعلمون، متوجّها بسؤاله إلى الفتى يتعلمون ما يعرفون أو ما لا يعرفون؟»

و من جديد همس ديونيزيدور في أذني بصوت لا يكاد يسمع: "هذا مقلب جديد، شبيه بالأول».

- آه وحقّ زوس، انطلقت من جديد، ليس ثمة ما يمكن قوله: لقد بدا لنا المقلب الأول بعد جدّ جميل.

- كل أسئلتنا، يا سقراط، واصل ديونيزيدو، لها نفس القوة: لا يستطيع أحد أن يفلت منها.

- على ذلك، أجبته، يبدو لي أن مقامكما عظيم لدى أتباعكما.»

18 بهذا الوصف يعبر سقراط بطريقة غير مباشرة عن بعض تقنيات السفسطائيين في المغالطة: "اللف والدوران" بمهارة حول نفس الموضوع مستغلين لبس الألفاظ واحتمالها لمعاني متعددة ومختلفة بحسب السياق.

- في الأثناء كان كلينياس قد أجاب أوتيدام أنّ الذين يتعلمون هم الذين لا يعرفون. أوتيدام الذي استمر في طرح أسئلته بنفس الطريقة التي اعتمدها من قبل[19].

- حسنا، ألا تعرف الحروف ؟

- قال: نعم.

- ألا تعرفها جميعا ؟

- وافق على ذلك.

- والحال هذه، عندما نقرأ شيئا ما بصوت عال، أليست حروفا هي التي نقرأها ؟

- أجاب بالموافقة.

- نقرأ إذن جزءا ممّا تعرفه، قال مواصلا، إن صحّ أنك تعرفها كلّها؟

- رد بالموافقة أيضا.

- وإذن، منطلقا من جديد، ألا تتعلم أنت ما نقرأه، وهل أنّ الذي لا يعرف هذه الحروف هو الذي يتعلم؟

- لا، قال الفتى، أنا الذي أتعلم.

- من هنا إذن، ألا تتعلم ما تعرف، إن صحّ أنّك تعرف كلّ الحروف؟

- أجاب بالموافقة.

- لم تحسن إذن الإجابة"، قال:

ولم ينته أوتيدام من التفوه بهذه الكلمات حتى لقف ديونيزيدور الكلام مثل كرة، وصوبه من جديد نحو الفتى قائلا:

أوتيدام يخدعك[20]، يا كلينياس. قل لي، التعلم أليس اكتساب علم ما نتعلمه؟

على هذا وافق كلينياس.

---

19 «اللف والدوران»، "و التلاعب بمعاني الألفاظ".

20 أوتيدام أدهى من ديونيزودور، يحسن إخفاء أوراقه. أما دينيزودور، فهو الذي بكل سذاجة يفضح من حين إلى حين ألاعيب أوتيدام ويضعف موقفه: يقول هنا علنا لكلينياس أن أوتيدام يخدعه.

الفاصل الأوّل:

- والمعرفة، سأله، أليست أن نملك بعد هذا العلم؟

- أجاب بالموافقة.

- عندئذ، أن لا يعرف المرء هو أن لا يملك بعد العلم.

- وافق كلينياس على ذلك.

- حينئذ، الذين يكتسبون شيئا، هل هم أولئك الذين يملكون بعد أم الذين لا يملكون؟

- الذين لا يملكون.

- ألم تعترف أن الذين لا يعرفون ينتمون إلى هؤلاء، أي الذين لا يملكون؟

- بإشارة، أجاب كلينياس نعم.

- الذين يتعلمون هم إذن من بين الذين يكتسبون، وليسوا من بين الذين يملكون؟

- على هذا وافق.

- عندئذ، قال، الذين لا يعرفون هم الذين يتعلمون، يا كلينياس، وليسوا الذين يعرفون[21].

VII - تهيّأ أوتيدام بعد للدخول في صراع مع كلينياس للمرّة الثالثة ليوهن عزيمته. وأنا، لمّا رأيت الفتى يضعف ولأني أردت أن أريحه قليلا حتى لا يفقد شجاعته، قلت له لأهدّئ من روعه: "لا تندهش يا كلينياس إذا بدت لك هذه الأسئلة غريبة. أنت لا تدرك ربّما حقيقة سلوك هذين الغريبين نحوك. إنهما يفعلان بالضبط ما يفعله الكوريبانتيون les corybantes قبل إقرار أتباعهم الجدد بينهم[22]. يقومون برقصات دورية وألعاب كما من المفروض أن تعلم، لو مررت بنفس التجربة. وبالمثل الآن لا يفعل هذان الرجلان سوى القيام برقصة دورية حولك، يرقصان وهما يلعبان، إن جاز القول، ليريا إن كان بإمكانك أن تصبح فيما بعد واحدا منهم. تخيل إذن أنك تحضر فاتحة الأسرار الخفية للسفسطة. قبل كل شيء يجب، كما يقول بروديكوس Prodicos[23]، أنّ تتعلم خصائص العبارات. هذا بالضبط ما يريه إيّاك هذان الغريبان: كنت تجهل أنّ كلمة يتعلم تستخدم عند الحديث عن شخص لا يعرف في البداية أي شيء عن شيء ما، ثم يكتسب فيما بعد معرفة بهذا الشيء،

21 هذا مثال على ما يقوم به السفسطائيون، يتلاعبون بالكلام ليثبتوا على التوالي القضية وعكسها، وهو ما يمثل موضوع «فنّ المجادلة» l'éristique الذي سبق أن أشار إليه سقراط في بداية المحاورة.

22 الكوريبانتيون كهنة كانوا يُجلسون أتباعهم الجدد على سرير، ويرقصون حولهم ويضربون على بنادير هم قبل اقرار هم بينهم.

23 سفسطائي ولد حوالي 470 ق.م، وتوفي حولي 399، عرف باهتماماته اللغويّة وخاصّة بتمييزه بين الفوارق الطفيفة بين الكلمات المترادفة.

ولكن كنت تجهل أيضا أنّ نفس الكلمة تستخدم أيضا للحديث عن شخص ما يملك بعد معرفة ثم يستخدمها لتعميق النظر في الشيء الذي يعرفه، إمّا في المجال العملي أو في المجال النظري. والحق يقال، نسمّي هذا فهما أول من تسميته تعلما، ولكن أيضا نسميه تعلما. لكنك أنت، لم تر كيف أن هذين الرجلين يثبتان أنّ نفس الكلمة تطبق على أناس يوجدون في وضعيات متعارضة، على الذي يعرف كما على الذي لا يعرف. والأمر نفسه تقريبا بالنسبة إلى السّؤال الثاني الذي وجهناه إليك، إن كنا نتعلم ما نعرف أو ما لا نعرف[24]. هذه المعاني ليست سوى ألعاب، ولذلك فإنني أدعي أنهما يلعبان معك. أقول جيدا: هذا لعب، إذ مهما كثر عدد ما نتعلمه من الأشياء من هذا القبيل، وحتى إن تعلمناها جميعا، فإن ذلك لن يزيد في معرفتنا بطبيعة الأشياء»[25]. لن نغنم إلا سهولة العبث مع الناس، باستخدام المعاني المختلفة لكلمة ما، نعرض - بمعنى ما - قدمنا أمام ساقيهم فنسقطهم، مثل الذين يسطون بسحب الكراسي من تحت الذين سيجلسون عليها، ويضحكون من رؤيتهم ممدودين على ظهورهم. قل لنفسك إذن أنّ «كل ذلك لم يكن سوى لعب من جهتهما، ولكن واضح أنهما بعد ذلك سيريانك بنفسهما الجانب الجدي من المسألة.

الفصل الثاني:

أنا بنفسي سأريهما الطريق، ليكونا عند وعودهما. لقد أعلنا بالفعل أنهما سيريان قدرتهما على الإرشاد، لكنهما - في تقديري- اعتقدا أن عليهما أولا أن يمزحا معك. الآن، يا أوتيدام ويا ديونيزيدور، توقفا عن المزح: يكفي ما قمتما به، حسب ما أرى. كل ما عليكما فعله، من اللحظة، هو أن تحثا هذا الفتى وأن تُريانه كيف يحصل على العلم والفضيلة، لكن قبل ذلك أريد أن أبين لكما كيف أتصور المسألة وكيف أريدها أن تعالج. وإذا وجدتما أنني أتصرف كجاهل بأصولها، لا تسخرا مني، إذ أن تلهفي لسماع دروسكما الحكيمة هو الذي سيكون قد شجعني على الارتجال أمامكما. اصبروا إذن على تحمل سماعي دون ضحك، أنتما وأتابعكما. وأنت، يا ابن أكيوكوس، أجبني[26].

VIII - "ألا نريد جميعا أن نكون سعداء ؟ ولكن أليس هذا من الأسئلة المثيرة للسخرية التي كنت أخشى طرحها منذ حين؟ إذ إنّ مجرّد طرح مثل هذه الأسئلة لا معقول بكلّ تأكيد. من الذي، بالفعل، لا يريد أن يكون سعيدا؟[27].

- لا يوجد أحد لا يريد ذلك، أجاب كلينياس.

---

24 هنا يبين سقراط بوضوح لكلينياس تقنيات المغالطة التي يستخدمها السفسطائيون.

25 ليس همّ سقراط الإقناع أو الفوز بالموافقة، بل التوصل معا، من خلال الحوار، إلى معرفة حقيقة الأشياء.

26 بأسلوب ساخر يطلب سقراط من أوتيدام وديونيزودور أن يكفا عن «اللعب» وأن يعلما كلينياس ما هي الفضيلة وأي علم يمكنه من بلوغها. ويعرض عليهما أن يقدّم لهما نموذجا لمناقشة حقيقية تمكن من التقدم في اتجاه المعرفة وحلّ المشكل المطروح - وهو ما سيقوم به في الفصل الثاني - لتجنب «اللف والدوران» و«اللعب».

27 يبدأ الآن سقراط في تقديم نموذج لما ينبغي أن يكون عليه النقاش- لأوتيدام وديونيزودور ليكون بناء.

- حسنا، استدركت. ولكن الآن، بما أننا نرغب في أن نكون سعداء، فبأي طريقة يمكننا تحقيق ذلك؟ هل سنكون سعداء إذا كان لدينا خيرات كثيرة؟ إذ إن هذا الأمر هو أيضا بديهي، في تقديري؟

- وهو ما وافق عليه.

- لنرى إذن. من بين الأشياء، ماهي تلك التي تعتبر خيرات بالنسبة إلينا؟ هذا السؤال ليس صعبا أيضا، أليس كذلك؟ ولسنا بحاجة إلى عقل خارق لتقديم إجابة عليه. الناس كلهم يستطيعون أن يقولوا لنا إنّ الثراء خير، أليس هذا الكلام صائبا ؟

- كل الصواب، قال.

- وبالمثل أليست الصحة، والجمال والصفات الجسمية المحمودة، عندما تكون متوفرة لدينا بالقدر الكافي، خيرات ؟

- هذا كان رأيه.

- والنبل أيضا، والسلطة وألقاب الشرف التي يتمتع بها المرء في وطنه، هي أيضا خيرات.

- هذا ما وافق عليه.

- من الخيرات، ماذا تبقى لنا ؟ ماذا سنقول عن الاعتدال، والعدل، والشجاعة ؟ باسم زوس، يا كلينياس، هل تعتقد أننا سنكون على حق إن أدرجنا هذه الأحياء ضمن الخيرات، أم إن لم ندرجها؟ قد يعترض علينا. لكن أنت، ما رأيك ؟

- إنها فعلا خيرات، قال كلينياس.

- حسنا، استدركت. لكن العلم، أي مكانة سنعطيه بين الأشياء ؟ هل سندرجه ضمن الخيرات ؟ ماذا ترى؟

- ندرجه بين الخيرات.

- انظر إن كنا لم ننس إحدى الخيرات الجديرة بالذكر.

- يبدو لي، قال كلينياس، أننا لم ننس أي واحدة منها.

- عند ذلك استرجعت واحدة منها في ذاكرتي، فقلت له: "بلا، باسم زوس، كدنا نهمل أعظم الخيرات.

- أي خير ؟ سأل.

-الفوز، يا كلينياس، الذي يعتره كل أناس، حتى الذين هم دون المتوسط منهم، أعظم الخيرات.

- كلام صائب، قال.

- وأنا مراجع نفسي مرة أخرى، قلت له: "لولا قليلا، لعرضنا أنفسنا لسخرية الغريبين، أنا وأنت، يا ابن أكيوكوس.

- كيف هذا؟ سأل.

- إنّنا بعد أن أدرجنا الفوز ضمن الخيرات، نرجع الآن إلى نفس الموضوع.

- ما تأثير ذلك؟

- إنّ ما يدعو إلى السخرية بكيفية أكيدة هو أننا بعد وضع المسألة على بساط البحث نعود ونضعها من جديد على نفس البساط ونقول مرتين نفس الشيء.

- ماذا تعني بهذا الكلام؟ التمس كلينياس.

- يجب الاعتراف، قلت، إنّ الحكمة هي الاقتدار على الفوز، حتى طفل يستطيع أن يفهم هذا[28]."

ممّا جعله يندهش، لشدّة صغره وبساطته. وأنا، لمّا رأيته مندهشا، قلت له: "ألا تعرف يا كلينياس أن في العزف على النّاي، عازف الناي هو الذي يفوز بتفوّق على غيره ؟

وهو ما وافق عليه.

- وأنّ، في الخطّ والقراءة، معلمي المدارس هم الذين يفوزون.

- بكل تأكيد.

- وأمام مخاطر البحر، أتعتقد أنّه يوجد، بصفة عامّة، غير الملاّحين من يقدر على الفوز أكثر من غيره.

- لا، بالتأكيد.

- وفي الحرب، مع من تريد أن تواجه الأخطار والصدف، مع قائد ماهر أو مع شخص غير كفء؟

- مع قائد ماهر.

- ولو كنت مريضا، مع من تريد أن تواجه الخطر، مع طبيب عارف أو مع جاهل؟

28 سيبيّن سقراط أنه لنكون سعداء يجب أن نكون حكماء، لأنّ كل الخيرات لن تفيدنا في شيء إن لم نحسن استخدامها، والحكمة هي «حسن الاستخدام».

- مع طبيب عارف.

أليس، واصلت الحديث، لأنك تعتقد أنه بإمكانك الفوز مع عارف بكيفية أفضل مما لو كنت مع جاهل؟

وهو ما وافق عليه.

IX - الحكمة هي إذن التي في كل ظرف، تجعل الناس يفوزون؛ نعرف، بالفعل، أن الحكمة لا تخطئ أبدا، وهي بالضرورة تحسن التصرف وتبلغ هدفها، وإلا فلا تكون حكمة.»

لقد اتفقنا في الآخر، لا أدري كيف، على هذه النتيجة العامّة، وهي أنّه حيث ما توجد الحكمة، لا يحتاج الشخص الذي يكون ملمّا بها على الانشغال بالبحث عن الفوز فهو في متناوله. وعندما اتفقنا على هذه المسألة، طلبت منه من جديد ماذا يجب أن نقول بخصوص استنتاجاتنا السابقة. لقد اتفقنا بالفعل، قلت، على أننا سنكون سعداء ومفلحين، إذا كانت لدينا خيرات كثيرة.

هذا ما اعترف به.

- هل كنا سنكون سعداء بهذه الخيرات، لو كانت بالنسبة إلينا، لا تصلح لشيء أو تصلح لشيء؟ مثلا لو كان لنا طعام كثير لكننا لا نأكل منه، أو مشروبات ولكننا لا نشرب منها، هل سيصلح لنا ذلك في شيء؟

- لا بكل تأكيد، قال.

- لنفرض إذن أنّ كلّ الحرفيين كان تحت تصرّفهم كلّ ما يلزم لكلّ واحد منهم في عمله، ولكنهم لا يستخدمونه قط، هل سيحققون فوزا بذلك، لكونهم حصلوا على كلّ ما يجب أن يكون بحوزة حرفي ؟ مثلا نجار استطاع الحصول على كلّ الأدوات واللوح اللازمين، لكن دون صنع شيء، هل سيكون قد حقق مصلحة ممّا حصل عليه؟

- لا مصلحة على الإطلاق، أجاب كلينياس.

- وإذا كان شخص يملك كلّ الثروات وكلّ الخيرات التي كنّا نتحدث عنها منذ حين، لكن دون استخدامها، هل سيكون سعيدا بامتلاك هذه الخيرات؟

- لا، قطعا، يا سقراط.

- بجب إذن على ما يبدو، قلت، أن لا يملك المرء خيرات من هذا القبيل فقط ليكون سعيدا، بل أيضا أن يستخدمها، وإلاّ فإنّ امتلاكها لا يصلح لشيء بالنسبة إليه.

- ما تقوله حق.

- لكن، هل يكفي، يا كلينياس، ليكون المرء سعيدا أن يملك خيرات وأن يستخدمها ؟

- يبدو لي.

- هل سيكون سعيدا، قلت، إذا أحسن استخدامها، أم إذا أساء استخدامها ؟

- إذا أحسن استخدامها.

- هذا كلام صائب، واصلت الحديث من جديد، إذ نلحق أذى بأنفسنا أكثر، في تقديري، عندما نسيء استخدام شيء مهما كان، ممّا لو نتركه جانبا: ما نصنعه سّيء في الحالة الأولى، وفي المقابل فهو ليس سيّئا أو حسنا في الحالة الثانية. أليس هذا هو رأينا؟

- هذا ما وافق عليه.

- ولكن ما الأمر؟ في صناعة الخشب واستخدامه، ما يجعلنا نستخدمه كما ينبغي، هل هو فقط فنّ النّجارة؟

- نعم، بكلّ تأكيد، قال.

- لا شك أيضا أنّ في صناعة الأدوات علمّا ما، هو الذي يعلم أفضل طريقة للتعامل معها.

- هذا ما وافق عليه.

- هل نفس الشيء، واصلت، ينطبق على استخدام الخيرات التي تحدثنا عنها أوّلا، الثروة، والصحة، والجمال؟ هل علم ما هو الذي يرشد لحسن استعمال الأشياء من هذا القبيل ويوجه استخدامها أم شيء آخر؟

- إنه علم ما، قال.

- ليس فقط تحقيق النتائج، بل أيضا حسن الاستخدام، على ما يبدو، هو ما يحققه العلم في كل ما نكتسبه وما نفعله.

هذا ما صادق عليه.

- والآن قلت، باسم زوس، الخيرات الأخرى، هل تكون منها أية مصلحة في غياب العقل والحكمة ؟ شخص يعوزه العقل هل سيرى منفعته في امتلاك وفعل أشياء كثيرة أم في الاقتصار على عدد محدود منها ؟ تفحّص المسألة من هذه الناحية. بفعله أشياء أقلّ، ألا يرتكب أقلّ أخطاء، وبارتكابه أقل أخطاء، ألا يعرض نفسه إلى أقلّ فشل، وألا يكون أقلّ تعاسة؟

- بالتأكيد، قال.

- حسنا، أيهما سيقوم بأقل الأشياء، الغني أو الفقير ؟

- الفقير، أجاب كلينياس.

- القوي أو الضعيف ؟

- الضعيف.

- من هو محاط بالشرف أم من ليس محاطا به.

- من ليس محاطا بالشرف.

- هل أنّ الرّجل الشجاع والمعتدل هو الذي سيقوم بأقل الأشياء أم الجبان؟

- الجبان.

- والكسول ألا يفعل أقل من المثابر؟

على هذا وافق.

- والرّجل البطيء أقل من الرّجل الخفيف، وضعيف البصر والسمع أقل من الرّجل حادّ البصر ومرهف السمع؟

على كل النقاط من هذا النوع اتفقنا.

- إجمالا، يا كلينياس، قلت له، بالنسبة إلى كل الأشياء التي سميناها في البداية خيرات، يبدو لي أنّ المسألة ليست أن نعرف كيف هي خيرات بذاتها: إليك ما توصلنا إليه بعد مقدماتنا، إذا كان الجهل هو الذي يوجّهها، فهي شرور أفدح من نقيضها، بقدر ما تكون قادرة على خدمة موجّهها الشرير؛ أمّا على العكس من ذلك، إذا كان العقل والحكمة هما اللذان يوجّهانها، فهي تكتسب من ذلك التوجيه قيمة، لكن بذاتها، لا هذه ولا تلك لها قيمة البتة.

- يبدو فعلا، بحسب مقدماتنا، أنّ الأمر كما تقول.

أي نتيجة يمكن أن نحرج بها مما قلناه؟ أليست أنّ من الأشياء الأخرى لا شيء خير بذاته أو شر بذاته، أمّا من هذين الشيئين، الحكمة والجهل، أحدهما، الحكمة، خير، والآخر، الجهل شرّ؟

هذا ما وافق عليه.

X - الآن، واصلت الكلام من جديد، لتفحّص ما تبقى. بما أنّنا نطمح جميعا إلى أن نكون سعداء وقد اعترفنا بأنّه لنصبح كذلك يجب أن نستخدم الأشياء وأن نحسن استخدامها، ولأنّ، من جهة أخرى، اعترفنا بأنّ استخدامها الصّحيح والفوز يستلزمان العلم، فإنّه من واجب كلّ إنسان إذن، على ما يبدو، أن يبذل قصارى جهده ليصبح عالما قدر ما يكون ذلك ممكنا، أليس كذلك؟

- نعم، قال.

- إذا كنّا نعتقد أنّه من الأفضل كثيرا أن نحصل على العلم من أن نحصل على ثروات، إمّا من أب، أو من ولي، أو من صديق.

الفاصل الثاني:

وبشكل خاص من صديق يقدم نفسه على أنّه محب، أو من غرباء، أو من مواطنينا، وإذا طلبنا منهم بإلحاح أن يطلعونا على شيء من علمهم، فليس في ذلك ما يخجـــل، يا كلينياس، ولا شيء في خدمة محبّ أو أيّ إنسان آخر من أجل ذلك الهدف يستحق اللوم، ولا في الاستعداد للقيام بأي عمل محترم من أجل أن نصبح علماء. أليس هذا هو رأيك ؟ قلت له.

- ما أراه، قال، هو أنّك محق كليّا فيما ذهبت إليه.

- شرط أن تكون الحكمة قابلة لأن تُتعلم، قلت لكلينياس، وأن لا تأتي الناس بالصدفة، إذ أن هذه نقطة مازلنا نتفحّصها ولم نتفق حولها، أنت وأنا.

الفصل الثالث:

- من جهتي، يا سقراط، قال، أعتقد أنها تُتعلم».

وأنا مفتون بهذه الإجابة، استأنفت: "حقا، أحسنت الكلام، يا أفضل الناس، وأحسنت صنعا عندما جنبتني تحقيقا طويلا في هذه النقطة بالذات المتعلقة بمعرفة ما إذا كانت الحكمة تُتعلم أو لا تُتعلم. والآن، مما أنّك تعتقد أنها تتعلّم، وأنّها الشيء الوحيد في العالم الذي يجعل الإنسان سعيدا وناجحا، توافق على أنّه من الضّروري أن نبحث عن الحكمة، وأنت بذاتك أليس في نيّتك أن تبحث عنها؟»[29].

- بالتأكيد نعم، يا سقراط، قدر ما أستطيع.

---

29 هذه هي النتيجة التي ينبغي أن يتوصل إليها كلّ كائن عاقل، وأيضا كلينياس، إذا سلمنا بأنّنا بطبيعتنا نرغب جميعا في أن نكون سعداء وأن كلّ الخيرات لن تفيدنا في شيء إن لم نحسن استخدامها.

XI - سُحرت هذه الإجابة. بعد ذلك، وأنا متوجه إلى أوتيدام وديونيزودور، قلت لهما: "ذا هو نموذج الخطاب المحفز الذي أريده. إنّه بلا شك عمل جاهل بأصول الخطاب، متعب. فليعالج، أحدكما، من يريد، بفن نفس الموضوع وليعرض علينا أفكاره. إذا كنتما لا تريدان ذلك، خذا الموضوع حيث تركته، وواصلا مبيّنين لهذا الفتى إن كان عليه أن يتعلم كل العلوم أو إن كان هنالك علم واحد عليه أن يستوعبه ليكون سعيدا وفاضلا، وما هو هذا العلم. وكما قلت في البداية فنحن نهتم كثيرا بأن يصبح هذا الفتى حكيما وفاضلا[30].

هذا ما قلته لهما، يا أقريطون، ثم أخذت في الإنصات بأقصى انتباه لما سيتبع وفي مراقبة الكيفية التي سيشرعان بها في معالجة الموضوع ومن أين سينطلقان لحث الفتى على تحصيل الحكمة والفضيلة. عندئذ، أخذ أكبرهما سنّا، ديونيزودور، الكلمة، وكنا نحدق فيه كمن ينتظر سماع أشياء عجيبة. هذا بالذات ما حدث لنا. عجيب بالفعل، كان، يا أقريطون، الخطاب الذي بدأه صاحبنا. يستحق أن تسمعه وأن تعرف كيف صيغ للحث على الفضيلة[31].

أخبروني، يا سقراط وأنتم الذين تعلنون أنكم ترغبون في أن يصبح هذا الفتى فاضلا، قال، هل تمزحون بكلامكم هذا، أم أنكم ترغبون بالفعل في ذلك وتتكلمون بجدّ ؟

عندها خطر ببالي أنهما اعتقدا إذن أنّنا كنّا نمزح في البداية، عندما حثثناهما على التحاور بأنفسهما مع الفتى، وأنّ لهذا السبب لم يفعلا سوى أن يمزحا، عوض أن يتكلما بجدّية. وهذه الخاطرة حثتني بدوري على التأكيد على أننا جدّيون بشكل يفوق التصور.

عند ذلك قال ديونيزودور: "احذر، يا سقراط، من أن تكون مجبرا على نفي ما تقوله الآن».

- أعرف ما أقول، أجبت، كونا بلا خشية، لن أنفي أي شيء.

- حسنا، تابع، ترغبون، قلتم، في أن يصبح هذا الفتى حكيما؟

- بالتأكيد.

- والآن، سأل، كلينياس، هل هو حكيم أم لا؟

- يقول إنّه لم يصبح بعد حكيما، لأنه ليس من المتبجحين.

- لكن أنتم، قال، تريدونه أن يصبح حكيما وليس جاهلا؟

---

30 بنفس الأسلوب الساخر يطلب الآن سقراط من ديونيزودور وأوتيدام أن ينسجا على منواله وأن يواصلا حيث انتهى مع كلينياس ليبّنا له أيّ علم عليه أن يتعلّمه ليصبح سعيدا وفاضلا، أو نفس الشيء حكيما وفاضلا بما أنّ الحكمة هي شرط السعادة.

31 يسخر هنا سقراط من ديونيزودور وأوتيدام لأنهما لم يأخذا العبرة من نصائحه، ويهيئ أوقريطون لسماع خزعبلاتهما وخاصة ديونيزودور الذي هو أكبر سنا من أوتيدام، ولكنه أقل ذكاء ومهارة منه.

هذا ما اعترفنا به.

- تريدونه إذن أن بصبح غير ما كان، وأن لا يكون البتة ما كان؟»

عند سماعي هذا الكلام، أحسست باضطراب، وازداد اضطرابي عندما استأنف كلامه قائلا: "بما أنكم ترغبون في أن لا يكون البتة ما كان، فأنتم ترغبون، على ما يبدو، في موته ؟ سيكون من العزة حقا أن يكون الأصدقاء والأحباء قادرين على أن

يتمنوا فوق كلّ شيء موت من تعزّون!"[32].

XII - عند سماعه هذا الكلام الذي استهدف من يحب، اغتاظ ستيزيب، وصرخ: "يا غريب تيريوم، لو لا خشيتي أن لا أكون مهذبا لقلت: "بليّة تصيبك ! أنت الذي يتفوه ضدّي وضدّ غيري بأكاذيب، لا يمكن، في رأي تكرارها دون جحود، من قبيل أنني أريد موت هذا الفتى.

- ماذا، يا ستيزيب، أجاب أوتيدام، هل يبدو لك ممكنا أن يكذب المرء؟[33]

- نعم، باسم زوس، إلا إذا كنت مجنونا.

هل - يكذب المرء - بالتكلم عن الشيء موضوع الحديث، أم بعدم التكلم عنه؟

- بالتكلم عنه، أجاب ستيزيب.

- إذا تكلمنا عنه، فنحن لا نتكلم، من بين الأشياء التي توجد، إلا عن هذا الشيء الذي نتكلم عنه ؟

- بطبيعة الحال، قال ستيزيب.

- لكنّ هذا الشيء الذي نتكلم عنه هو أحد الأشياء الموجودة، بكيفية مستقلة عن الأشياء الأخرى.

- بالتأكيد.

- إذن، من يتكلم عن هذا الشيء، تابع، يقول ما هو.

- نعم.

- لكنّ الذي يقول ما هو والأشياء التي توجد، يقول الحقيقة. وبالنتيجة، إذا قال ديونيزودور ما هو، فهو يقول الحقيقة ولا يتفوه ضدك بأي كذبة.

---

32 يتلاعب ديونيزودور مثل أوتيدام بمعاني الألفاظ ويستفز سقراط والحاضرين باتهامهم بحجج مزعومة بأنهم يريدون موت كليناس.

33 يعاود ديونيزودور حبك مغالطة أخرى.

- نعم، انطلق ستيزيب من جديد، ولكنّ الذي يتكلم على هذا النحو، يا أوتيدام، لا يقول ما هو.

عندها قال أوتيدام: "الأشياء التي لا تكون، ليس لها وجود، أليس كذلك؟[34]

- ليس لها وجود.

- إذن الأشياء التي لا تكون ليس لها وجود أصلا؟

- أصلا.

إذا سلمنا بهذا، فهل يمكن لأيّ كان أن يؤثر في هذه الأشياء التي هي غير كائنة، بحيث يجعلها تكون؟

- هذا ليس رأيي، أجاب ستيزيب.

- الآن، عندما يتكلم الخطباء أمام الجمهور، ألا يقومون بشيء ما؟

- بالتأكيد يقومون بشيء ما قال.

- إذن، إن قاموا بشيء ما، فهم أيضا يفعلون.

- نعم.

- على هذا النّحو، إذن، أن نتكلم هو في نفس الوقت أن نقوم بشيء ما وأن نفعل.

هذا ما وافق عليه.

- بالنتيجة، استأنف أوتيدام، لا أحد يقول ما ليس كائنا، وإلا فإنه سيفعل شيئا. لكنّك وافقت على أن، ما ليس كائنا، لا نستطيع فعله. على هذا النّحو، وباعترافك أنت، لا أحد يقول أشياء كاذبة، وإذا تكلم ديونيزودور، فهو يقول الحقيقة وما هو.

- باسم زوس، نعم يا أوتيدام، قال ستيزيب، لكن ما هو، يقوله على نحو ما، وليس كما هو.

- ماذا تعني بذلك، يا ستيزيب؟ استأنف ديونيزودور. هل ثمة إذن أناس يقولون الأشياء كما هي؟[35]

- نعم، قال: المستقيمون والذين يقولون الحقيقة.

---

34 هنا يتدخل أوتيدام لنجدة أخيه محاولا إقناع الحاضرين بأنّ الكذب غير ممكن وبالتالي فإنّ ديونيزودور لا يكذب عندما يقول إنّ سقراط ومن معه - بما في ذلك ستيزيب - يريدون موت كلينياس.

35 ستيزيب الذي يحب كلينياس، والذي يقدّمه سقراط في بداية المحاورة على أنّ طبعه لا يخلو من بعض الوقاحة «الناتجة عن سنه»، لا يترك السفسطائيين يحتكران الكلمة بل يردّ عليهما بأسلوبهما ويصل حتى إلى التفوق عليهما.

- لنبحث في الأمر، قال ديونيزودور: أليس الخير شيئا حسنا والشرّ شيئا سيئا؟

هذا ما قبل به.

- وتعترف أنّ المستقيمين يقولون الأشياء كما هي؟

- أعترف بذلك.

- عندئذ، يا ستيزيب، تابع، يقولون سوءا عن الأشياء السيئة، إذا كانوا يقولون الأشياء كما هي؟

- نعم، باسم زوس، قال، ويقولون أشياء جدّ سيئة، على الأقل عن غير المستقيمين، وأنت إذا صدقتني، احذر من أن تكون واحدا منهم، إذا أردت أن لا يقول المستقيمون سوءا عنك. إذن اعلم ذلك، المستقيمون يقولون سوءا عن الأشرار[36].

- والعظام، يا أوتيدام، هل يتحدّثون عنهم بعظمة، والمتحمسون بحماسة؟

- نعم، بلا شكّ، قال ستيزيب، ومهما يكن، فهم، عن الذين يتكلمون بفتور، يتكلمون بفتور ويقولون إنّ كلامهم فاتر.[37]

- أنت يا ستيزيب، تشتم، قال ديونيزودور، إنك تشتم.

- لا، باسم زوس، ردّ ستيزيب، إذ إنني أعتبر نفسي صديقا لك، لكني أحذرك كصديق وأسعى باجتهاد إلى إقناعك بأن لا تقول بمثل تلك الفظاظة أمامي، إنّني أريد موت من يهمني أمرهم أكثر من كلّ شيء.

XIII - عند ذلك أنا، لمّا رأيت أنّ مشاكستهم اشتدت، بدأت في ممازحة ستيزيب وقلت له: يبدو لي، يا ستيزيب، إنّه يجب علينا أن نقبل من غريبينا ما يقولانه، إذا رضيا أن يتسامحا معنا وأن لا يثيـــــرا جدلا حول كلمة[38]؛ إذ إنهما يعرفان كيف يميتان الناس بكيفية نجعلهم طيّبين وعقلاء بعد إن كانوا أشرارا وفاقدي العقل، إمّا لأنّهم وجدوا بأنفسهم، أو لأنّهم تعلموا من آخرين طريقة في الفقد والإفناء، حيث إنّهم بعد إماتة شرير، يظهرونه من جديد في شكل شخص فاضل. إذا كانا يعرفان هذا، وبديهي أنّهما يعرفانه؛ لأنّهما أكدا أنّهما يملكان الفنّ، الذي اكتشف حديثا، القادر على جعل الأشرار فضلاء. لنتنازل لهما عمّا يلي: أن يميتا هذا الفتى وأن يعيداه لنا عاقلا ونحن كلنا معه.[39] وإذا كنتم أنتم، أيّها الفتية، خائفين، فليجر الاختبار عليّ أنا كما

36 هنا لا يلتزم ديونيزودور بإتيقا النقاش ويحوله إلى هجوم على شخص ستيزيب.

37 بهذه الكيفية يردّ ستيزيب على السفسطائيين الذين حوّلا النقاش إلى هجوم على شخصه بتحويل هذا النقاش بدوره إلى هجوم على شخصهما.

38 عندما لاحظ سقراط تحول النقاش إلى شجار، تعمّد تهدئة ستيزيب ليتمكّن من فضح ألاعيب هذين السفسطائيين، وكل السفسطائيين، من خلالهما.

39 بهذا الشكل يمعن سقراط في السخرية من أوتيدام وديونيزودور ليطمئـنّا إليه ويفضحا أنفسهما بأنفسهما.

على كاريّ[40]، فأنا مسنّ، لذلك فأنا مستعد للمخاطرة ولتسليم نفسي لديونيزودور الحاضر هنا، كما لميدي دو كلوشيلد Médée de Colchilde[41]. فليقتلني وإن أراد، فليطبخني، أو يفعل بي ما يشاء، شرط أن يصيّرني فاضلا."

عند ذلك، قال ستيزيب: "أنا أيضا، يا سقراط، مستعد لأضع نفسي بين يدي «الغريبين، حتى إن أرادا سلخي على نحو أشنع مما يفعلان الآن، شرط أن لا يحولا جلدي إلى قربة كجلد مارسياس Marsyas [42]، بل إلى فضيلة. من حق ديونيزيدور، الحاضر هنا، أن يتخيّل أنّي غاضب منه، لست غاضبا منه، أنا فقط أعارضه حول النقاط التي يبدو لي أنه يسيء فيها الكلام إزائي. لا تخلط، أنت يا ديونيزودور الشجاع بين المعارضة والشتم، إذ الشتم شيء آخر.»[43]

XIV - على هذا، قال ديونيزودور: "قد نعتقد، ونحن نسمعك نستدلّ، أن التناقض يوجد[44].

- ومع ذلك فهو يوجد، قال ستيزيب، أنا متأكد من ذلك. وأنت، يا ديونيزودور، هل تعتقد أنّه لا يوجد؟

- لن تثبت أبدا، قال، أنّك سمعت أحدا يناقض آخر.

- تقول حقا، ردّ ستيزيب، لكن في هذه اللحظة بالذات أثبت لك أني أسمع ستيزيب يناقض ديونيزودور.

- هل تستطيع إثبات ما تدّعي بسبب معقول؟[45]

- على نحو كامل، قال.

- لننظر في الأمر، تابع: هل ثمّة بالنسبة إلى كلّ شيء طرق - مختلفة - للحديث عنه؟

- بالتأكيد.

- كما هو، أو كما ليس هو؟

- كما هو.

---

40 الكاري un carien كان عند اليونانيين شخصا قليل القيمة يباع ويشترى ويمكن أن تجرى عليه تجارب.

41 في الأساطير اليونانية، تنصح السّاحرة ميدى Médée بنات بيلياس Pélias بتغلية أبيهنّ في الماء ليعود إلى شبابه.

42 حسب ما ترويه الأساطير اليونانية تحدّى مارسياس Marsyas الإله أبولون Apollon الذي سلخه حيا وصنع قربة من جلده.

43 هنا يتبرأ ستيزيب من كونه لم يلتزم بإتيقا النقاش لأنه على وعي بالفرق بين أن نعارض أفكار إنسان وأن نحول هذه المعارضة إلى شتم لشخصه.

44 مرة أخرى يمر ديونيزيدور إلى حبّ مغالطاته للإيقاع بستيزيب.

45 لا يهم ديونيزيدور إن كان ستيزيب يعارضه بالفعل، المهم في نظره هو أن يبني حجة وأن يقنعه بها، فالخطاب له قوانينه وليس مرتبطا بالوقائع، أو الماهيات، وهذا ما يرفضه سقراط وأفلاطون.

- إذا بالفعل تذكّرت، يا ستيزيب، لقد برهنا منذ حين على أن لا أحد يستطيع أن يتحدث عن شيء كما لا يكون، لأنّ ما لا يكون لا أحد يستطيع قوله.

- حسنا، ما تأثير ذلك؟ قال ستيزيب. ألسنا على الأقل بصدد التناقض أنا وأنت، أليس كذلك؟

- هل سنتناقض، استأنف، ونحن نتكلم عن نفس الشيء؟ في هذه الحال، ألن نقول يقينا نفس الأشياء؟

هذا ما اعترف به.

- لكن، استدرك، إن كنّا لا نتحدّث، لا أنا ولا أنت، عن هذا الشيء، هل سنستطيع عندئذ أن نتناقض؟ أليس من الحق، في هذه الحال، أنّه لا أحدنا ولا الآخر سيذكر حتى هذا الشيء؟

- هذا ما وافق عليه أيضا.

- لكن عندما أتكلم أنا عن موضوع، وتتكلم أنت عن آخر، هل عند ذلك نتناقض، أو أنني بالأحرى أتكلم أنا عن هذا الموضوع، في حين أنّك لا تقول شيئا عنه؟ والحال هذه، كيف لمن لا يتكلم عن شيء أن يناقض من يتكلم عنه؟

XV - ظلّ ستيزيب صامتا. أما أنا، فمندهش بما كنت أسمع، سألت: "ماذا تريد أن تقول يا ديونيزودور؟ هذه الأطروحة، غالبا ما سمعتها من أفواه كثير من الناس، وأنا على الدوام مندهش منها. لقد كانت رائجة جدّا في مدرسة بروطاغوراس، ولدى من هم أقدم بكثير[46]. من جهتي، أجدها دائما مدهشة، تبدو لي مدمرة لنفسها[47] ولغيرها. إذا كانت صادقة، فأنت، حسب ما أعتقد، الذي ستريني صدقها على أفضل وجه. لا نستطيع قول أشياء خاطئة، هذا هو معنى عرضك، أليس كذلك ؟ لكن يجب أيضا ضرورة أن نقول دائما الحقيقة، أو أن نصمت؟

هذا ما وافق عليه.

- لكن إذا استحال أن نقول أشياء خاطئة، ألا يمكن، مع ذلك أن نفكر فيها؟

- التفكر فيها، كذلك لا، قال.

---

46 بروطاغوراس Protagoras سفسطائي يعرف بقوله الشهير "الإنسان هو مقياس كل الأشياء، وجود ما يوجد منها وعدم وجود ما لا يوجد»، لأي وجود الأشياء أو عدم وجودها يتوقف على القدرة على إثبات ذلك الوجود أو عدمه. ويسند إلى بروطاغوراس أيضا قول إن الخطأ غير ممكن، لأنّه يمكن دائما الاستدلال على صحة ما نقول. وبقوله إنّ هذا الرّأي وجد لدى من هم أقدم بكثير»، يشير سقراط، على ما يبدو إلى بارمنيدس Parménide الذي كان ينفي اللاوجود، وبالتالي الخطأ (انظر محاورة «السفسطائي» 260c، وكذلك محاورة»كراتيل» 423d).

47 سيبين سقراط كيف أن هذه الأطروحة تناقض نفسها وتجعل الذين يدافعون عنها يتناقضون، إذ إن كان الخطأ غير ممكن، وما نقوله أو نفكر فيه صائبا دائما، ألا يناقض هذا ادعاء أوتيدام وديونيزيدور أنهما يتفوقان عن غيرهما بمعرفة كل شيء، وبالقدرة على تعليم ذلك للآخرين، فما جدوى تعليم الآخرين إذا كان الخطأ غير ممكن وما نقوله أو نفكر فيه دائما صائبا ؟

- عندئذ، تابعت، لا توجد كذلك آراء خاطئة، مطلقا لا؟

قال، لا.

- لا يوجد أيضا جهلة ولا جهل وإلا، ألا يكون من الجهل على فرض أنّه ممكن، أن يخطئ المرء بخصوص الأشياء؟

- بكلّ تأكيد، قال.

الفصل الرّابع:

هل لمجرّد الكلام، تتحدث على هذا النحو، يا ديونيزودور، أم تدهشنا، أو أنّك تعتقد حقا أنّه لا يوجد قطّ جهلة في العالم؟

- عليك أنت، قال، أن تثبت العكس[48].

- هل من الممكن، بحسب الأطروحة التي تدافع عنها، أن ندحض خطأ، إذا كان لا أحد يخطئ؟

- هذا غير ممكن، قال أوتيدام.

- عندئذ استدركت، ديونيزودور، منذ حين، كان لا يطلب منّي أيضا أن أدحضك؟

- كيف يمكن بالفعل أن نطلب ما لا يوجد؟ أنت، هل تطلب ذلك؟

- أنت تثرثر[49]، قال، دون أن تكترث بالإجابة. هيا، أيّها الطيب، افعل ما أقوله لك، أجبني، لأنك أيضا تعترف بأنني عالم. يحب إذن أن أقبل بالهزيمة، قلت: يبدو هذا ضروريا؛ إذ أنت الذي تحكم. عندئذ اسأل[50].

- هل لأن للموجودات الحيّة حواس فلها إحساس du sens أم إنّ الموجودات غير الحيّة لها أيضا إحساس du sens؟[51]

- الموجودات الحيّة فقط لها إحساس du sens.

---

48 دائما مشكل السفسطائيين ليس ما يشهد به الواقع أو ما تكون عليه الأشياء، بل ما يمكن إثباته بحجج (حتى وإن كانت زائفة).

49 عوض أن يجيب سقراط حول المشكلة المطروحة، يتمسك دينيزودور بموقفه ويلجأ إلى اتهام سقراط بأنه يثرثر، يقع فيما يسمى اليوم «المغالطة بواسطة التهجم على الشخص». (argumentum ad hominem)

50 يتظاهر سقراط بأنه قبل بالهزيمة، ليبين بكيفية أفضل كيف أن دينوزيدور يتناقض وكيف أن الخطأ ممكن.

51 لكلمة sens لها معنيان، يمكن أن تعني «الدلالة» أو «المعنى" كما في عبارة "للكلام معنى» les paroles ont du sens، ولكن تعني أيضا لكلمة sens «الإحساس» كما في عبارة «للكائنات الحية إحساس» les êtres animés ont du sens. وبواسطة التلاعب بهذين المعنيين يريد ديونيزودور من سقراط أن يوافق على أن للجمل، التي هي كائنات غير حية، إحساس، وذلك بتعويض مفهوم «المعنى» sens بـمفهوم «الإحساس» الذي يسمى أيضا sens.

- إذا فبلنا بهذا، فهل يوجد كلام حيّ؟

- لا، باسم زوس.

- إذن، لماذا سألتني منذ حين عن معنى الجملة التي قلتها لك؟[52]

- لماذا، قلت، إن لم يكن لأني أخطأت أنا كشخص ثقيل الذهن ؟ ولكن قد لا أكون أخطأت وقد أكون على حق عندما قلت إن الجمل لها معنى du sens. ماذا ترى؟ هل أخطأت أم لا؟ إن لم أخطئ فإنك أنت أيضا لا تستطيع دحضي، مهما كنت عالما، ولا تعرف ماذا تفعل بما أقول، ولكن في المقابل إذا أخطأت، ففي هذه الحال أنت لم تحسن الإجابة عندما قلت إنّه يستحيل أن يخطئ المرء.[53] وما أقوله الآن لا يستهدف ما قلته في السنة الماضية. لكن يبدو لي، يا ديونيزودور ويا أوتيدام، تابعت، أنّ حجتكما باقية على الدوام على ما هي عليه وأنها كما كان الأمر من قبل وكما هو الأمر الآن تسقط بعد إسقاط الخصم. والطريقة لوضع حد لهذه الحال، علمكما ذاته لم يجدها بعد، مهما كان باهرا بالنسبة إلى صرامة المناقشة."

عند ذلك، صرخ ستيزيب: "مدهش حقا أن تناقشا كما تفعلان الآن، يا أهل تيريوم Thurium أو أكسيوس Axios، أو من أي مكان جئتما أو مهما كان الاسم الذي يروقكما أن نسمياكما به! أنتما لا تخشيان الخروج عن المعقول».[54]

وأنا، لما خشيت أن يتحول الأمر إلى شتم متبادل، حاولت مرة أخرى تهدئة ستيزيب، فقلت له: "ما قلته لكليناس منذ حين، يا ستيزيب أكرره لك أنت بدورك: أنت تجهل أن هذين الغريبين يملكان علما مدهشا. لكنهما لا يريدان تعليمه لنا بجدية يتصرفان كبروتي Protée، السفسطائي المصري: يخدعاننا بواسطة أسحار. لنفعل نحن كمينيلاس Ménéla [55] لن نخلي سبيل هذين الرجلين ما لم يكشفا لنا عن المضمون الجدي لعلمهما. إذ أنّني متأكد أننا سنرى منهما شيئا يدهش بجماله عندما سيأخذان الأمر بجديّة. لنرجوهما، لنتضرع إليهما لنستعطفهما حتى يكشفا عن حقيقتهما إلينا. بالنسبة إليّ، يبدو لي أنّه من الأحسن أن أدلهما بنفسي مرّة أخرى في أيّ شكل يجب أن ينكشفا إلينا. سأستأنف عند النقطة التي توقفت عندها آنفا محاولا أحسن ما أستطيع

52 سأل سقراط عن معنى تلك الجملة لأنه يعرف أنّ السفسطة هي تلاعب بمعاني الكلمات.

53 على هذا النحو يردّ سقراط على الأطروحة القائلة بأن الخطأ مستحيل - أطروحة بارمنيدس وبروطاغوراس - إن قال سقراط كلاما صائبا، لا يستطيع ديونيزودور دحضه لأن الخطأ مستحيل - حسب مسلمة دينيزودور - وما يقوله سقراط هو صادق، وإن أخطأ سقراط فإنّ دينيزودور «لم يحسن الإجابة»، يتناقض لأنه ينفي الخطأ في إجابته، وبالتالي إن قال إنّ سقراط يخطئ فهو يتناقض. وهو يستعمل هنا حجاجا بواسطة قياس الإحراج le dilemme وذلك لأن كلمة sens يمكن أن تعني «المعنى» أو «الإحساس».

54 أوتيدام وديونيزودور لا يخشيان التناقض الذي هو خرق لأحد مبادئ العقل كما سيبين أرسطو، وهو «مبدأ الهوية».

55 في «الأوديسا" L'Odyssée لهوميروس Homère، يمسك مينيلاس بالإله بروتي ليقول له لماذا لا يستطيع مغادرة مصر مهما حاول. ورغم تملص بروتي من ميلياس باتخاذ أشكال مختلفة، إلا أن ميلياس أحكم تقيده حتى عاد إلى شكله الحقيقي وأجابه. وسقراط هنا يتحدث مجازا عن «السفسطائي بروتي»؛ لأن السفسطائي بتلونه يشبهه فعلا، ولكنّ سقراط لن يُخلي سبيله حتى يعود إلى شكله الأصلي.

أن أعرض عليهما ما يتبع، حتى يستجيبا إلى ندائي إشفاقا عليّ وحتى، تعاطفا، معي على مجهوداتي وجديتي، يكونا أيضا جدّيين من جهتهما.[56]

XVII- أنت، يا كلينياس، قلت، ذكرني أين توقفا هاكم تقريبا عند أي نقطة، لقد اتفقنا في الآخر على أنه يجب تعاطي الفلسفة، أليس كذلك ؟[57]

- نعم، أجاب.

- لكن، التفلسف هو السعي إلى اكتساب علم، أليس هذا حقا؟

- نعم، قال.

- لكن ماذا عساه أن يكون هذا العلم الذي نريد اكتسابه؟

- أليس هو بالتأكيد العلم الذي سيكون مفيدا لنا؟

- بالتأكيد، قال.

- عندئذ، هل سيكون مفيدا لنا في شيء إن عرفنا، ونحن نجوب الأرض، في أي مكان يدفن أوفر قدر من الذهب؟

- ربما، قال.

- لكن قبل ذلك، استأنفت، ألم نبرهن على أننا لن نربح أي شيء، حتى وإن حصلنا، دون عناء ودون حفر، على كل ذهب الدنيا، بحيث أنه مهما عرفنا تحويل الصخور إلى ذهب فإن علمنا هذا لن يفيدنا في شيء؛ لأننا إذا كنا أيضا لا نعرف كيف نستخدم الذهب، فإنه، كما برهنا على ذلك، بدون أية قيمة. ألا تتذكر هذا؟ قلت.

- أتذكر ذلك جيدا، قال.

- من العلوم الأخرى أيضا، على ما يبدو، لا نستطيع أن نخرج بأية فائدة، لا من علم تداول المال، ولا من الطب، ولا من أي علم آخر يعرف كيف ينتج شيئا ولكنه لا يعرف كيف يستخدم ما ينتج. أليس هذا هو الحق؟

هذا ما وافق عليه.

---

56 مرّة أخرى سيقدّم سقراط لأوتيدام وديونيزودور نموذجا لما يجب أن يكون عليه النقاش حتى يكفا عن «اللعب» و«التلون» وحتى يلتزما بإجرائيات النقاش وإتيقا الحوار.

57 أوتيدام وديونيزودور لم يلتزما بموضوع النقاش، بل انطلقا في مجادلة عشوائية، وهو ما يريد سقراط تصحيحه بالعودة إلى موضوع النقاش.

- حتى لو وجد علم يمنح الحياة الأبدية، فإن كنا لا نعرف الفائدة منها، فإنّ هذا العلم أيضا على ما يبدو لا فائدة منه، إن كان علينا أن نحكم على الأمور بحسب من توصلنا إليه من قبل.[58]

- نحن في حاجة إذن، يا بني الجميل، إلى علم ينتج ويعرف كيف يستخدم ما ينتج في آن.

- هذا بديهي، قال.

- ليس من المهم كثيرا بالنسبة إلينا[59] أن نكون صانعي قيثارات وأن نحصل مثل هذا العلم؛ لأن فنّ الإنتاج هنا منفصل عن فنّ الاستخدام، ولأنهما رغم تعلقهما بنفس الموضوع يختلفان ففن صناعة القيثارات يختلف كثيرا عن فن العزف عليها، أليس كذلك؟

هذا ما وافق عليه.

- فنّ صناعة المزامير أيضا ليس ضروريا بالنسبة إلينا؛ لأنه من نفس الجنس.

كان رأيه موافقا لرأيي.

- لكن، وحق الآلهة، قلت، لو تعلمنا فن الخطاب، هل سيكون هذا الذي يجب تحصيله لنكون سعداء؟[60]

- لا أعتقد ذلك من جهتي، انطلق كلينياس من جديد.

- على أي حجج تستند؟ قلت.

- أرى صانعي خطب لا يعرفون كيف ينتفعون من خطبهم الخاصة، أجاب، رغم أنهم يؤلفونها بأنفسهم، بقدر لا يزيد عن عدم انتفاع صانعي القيثارات بالقيثارات التي يصنعونها. هنا أيضا، آخرون هم الذين يملكون القدرة على استخدام ما صنعه غيرهم، لعجزهم عن تأليف خطبهم بأنفسهم. واضح إذن، أن في ما يتعلق بالخطب أيضا، فن الصناعة مختلف عن فنّ الاستخدام.

- يبدو لي، استأنفت، أنك برهنت الآن بكيفية جدّ حسنة على أن فنّ صانعي الخطب ليس الفنّ الذي يُقدرنا اكتسابه على أن نكون سعداء. ومع ذلك كنت أعتقد، أنا، أنّنا سنعثر هنا على هذا العلم الذي نبحث عنه منذ أمد طويل. إذ أني عندما أجد نفسي مع هؤلاء الناس، مؤلفي الخطب، فإنّهم يبدون لي، يا كلينياس، علماء على غاية من التفوق وعلمهم أيضا يبدو لي عجيبا ورائعا. ولا غرابة في ذلك، مما أنه جزء من الأسحار ولا يقلّ مرتبة عنها إلا قليلا. عِلم الأسحار يهتم بفتن الثعابين، والعناكب، والعقارب، والدواب الأخرى، والأمراض،

58 تقتضي المناقشة الجدية الالتزام بموضوع النقاش وبالنتائج المتوصل إليها لتكون مقدمات لاستدلالات جديدة.

59 بالنسبة إلى موضوع حديثنا.

60 نقد غير مباشر من سقراط للسفسطائيين.

والآخر يهتم بالذات بفتن القضاة وتليينهم، وأعضاء مجلس النّواب، والجماهير الأخرى. وأنت، قلت، هل ترى الأشياء على نحو آخر؟

لا، قال، يبدو أن الأشياء هي كما تقول.

عندئذ، إلى أين نتجه كذلك؟ نحو أي نوع من الفنّ؟

- لا أرى قط، من جهتي، قال.

- حسنا، قلت، أعتقد أنّي وجدت.

- أيّ علم؟ سأل كلينياس؟[61]

- فنّ القائد العسكري، قلت، يبدو لي بامتياز، أنّه ما يمكننا اكتسابه من أن نصبح سعداء.

- لا أرى ذلك.

- كيف؟ قلت.

- مثل ذلك الفنّ ليس سوى نوع من صيد النّاس.[62]

- وبعد؟ قلت.

- لا يذهب أي جزء من الصيد بمعناه الدقيق إلى أبعد من الملاحقة والقبض، وعندما يستولي أشخاص ما على ما يلاحقون، فإنهم عاجزون عن أن يحققوا نفعا منه: البعض، صيادو البر أو البحر، يسلمونه للطباخين، الآخرون، الهندسيون وعلماء الفلك والرياضيون، يفعلون بالمثل، بما أنهم أيضا صيادون؛ إذ إن لا أحد منهم يبدع أشكالا، بل إنهم يكتشفون ما يوجد منها. ولأنهم لا يعرفون استخدامها، فهم يكتفون بصيدها، وكل الذين منهم، ليسوا أغبياء، يسلمونها لمن يستطيعون استخدامها.

- حسنا جدا، يا كلينياس الفائق الجمال والعلم. ولكن هل الأمر هو حقا كما تقول؟

- بالتأكيد. ونفس الشيء بالنسبة إلى القادة العسكريين، أضاف. إنهم عندما يستولون على مدينة أو يؤسرون جيشا، يسلمون ما استولوا عليه إلى المسؤولين في الدولة؛ إذ إنهم لا يعرفون ما يفعلون بما غنموه من صيدهم، بقدر لا يزيد عن صيّادي المرقش الذين يسلمون صيدهم لمربي الحيوانات. إذا كنا إذن، استأنف،

61 بعد أن أخذ العبرة من دروس سقراط، يأخذ كلينياس في تطبيق ما تعلمه مع سقراط نفسه: لا يكتفي بالإجابة، بل يستفسر ويطلب تحديدا واضحا للمعاني ولضمنيّات السؤال واستتباعاته.

62 هنا يعتمد كلينياس على المماثلة.

نبحث عن فنّ يعرف بنفسه كيف يستخدم ما يكون قد اكتسب، إمّا بالإنتاج أو بالصيد، وإذا كان على مثل هذا الفن أن يجعلنا سعداء، فإنه علينا أن نبحث عن فن آخر عوضا عن فنّ القائد العسكري.

أقريطون

XVIII - ماذا تقول، يا سقراط؟ هذا الفتى هو الذي قال هذا الكلام؟

سقراط

ألا تصدق، يا أقريطون ؟

أقريطون

لا، وحق زوس. رأيي أنا هو أنّه إذا تكلم على هذا النّحو، فهو لم يعد في حاجة لا إلى أوتيدام ولا إلى أيّ معلم آخر.

سقراط

- عندئذ، وحق زوس، هل سيكون ستيزيب هو الذي تكلم وهل أكون قد نسيت ؟

أقريطون

هذا الكلام هو حقا أقرب لأن يكون ستيزيب هو الذي قاله!

سقراط

ومع ذلك، أنا واثق أن ليس أوتيدام ولا ديونيزودور هما اللذان قالا هذا الكلام. ألا يمكن أن يكون، يا أقريطو ن المهيب، كائن سام، بل جد سام هو الذي قاله، كائن سام حضر الحوار وقال ذلك الكلام ؟ إذ إنّني سمعته، أنا متأكد من ذلك.

أقريطون

نعم، وحق زوس، يا سقراط، لا بد أنّه كان كائنا يتميز بالسموّ، بل جدّ سام. لكن بعد ذلك، هل بحثتم أيضا عن فنّ آخر؟ وهل وجدتم أم لا الفنّ الذي يمثل موضوع بحثكم؟

سقراط

كيف «وجدتم»، يا أقريطون المحظوظ ؟ كنا مضحكين تماما. كنّا كأطفال يجرون وراء القبّرات، كنّا نعتقد أنه بإمكاننا أن نضع أيدينا مباشرة على هذا العلم أو ذاك، وفي كلّ مرّة كان ذلك العلم يفلت منّا. ما فائدة أن أنقل إليك تلك المحاولات العديدة ؟ لكن عندما وصلنا إلى فنّ الملك وبحثنا إن كان هو الذي ينتج السّعادة وقعنا عندئذ في نوع من المتاهة، وفي اللحظة التي اعتقدنا فيها أننا أخيرا بلغنا هدفنا؛ لأننا بحثنا في كل زاوية من هذه المتاهة، رجعنا من جديد إن صحّ القول إلى بداية بحثنا، نعاني من نفس الصعوبات التي عانينا منها عند الشروع في تحقيقنا.

أقريطون

كيف حدث لكم ذلك؟

سقراط

هذا ما سأقوله لك، لقد بدا لنا أنّ السياسة وفنّ الملك شيء واحد.[63]

أقرطون

وبعد؟

سقراط

إنّ هذا الفنّ، بحسب ما بدا لنا، هو الذي يسلمه فنّ القائد العسكري وتسلمه الفنون الأخرى ما تنجزه ليتولّى التصرف فيه، كفنّ وحيد يعرف كيف يستخدمها. لذا بدا لنا بديهيا أنّه هو الذي نبحث عنه، وأنّه هو الذي يسبّب اليّسر في المدينة، والذي بالذات، بحسب بيت لإشيل Eschyle، [64] يوجّه وحده دفة الدّولة، يحكم الكلّ، ويأمر الكل ويجعل الكل نافعا.

أقريطون

ألا يعتبر هذا تفكيرا جيّدا، يا سقراط؟

سقراط

63 كان بإمكان سقراط أن يتوقف عند هذه النتيجة وهي أنّ السياسة - أو فنّ الملك - إذا كانت مستنيرة بالفلسفة هي التي تحقق الفضيلة والسعادة، وهو ما سيبينه أفلاطون في محاورة الجمهورية، ولكنّه لا يتوقف عندها ويتظاهر بأنّها ليست الفنّ الذي يبحث عنه، لأنّ غاية هذه المحاورة ليست هذه بل فضح ألاعيب السفسطائيين وتفاهة علمهم المزعوم، وهو ما سيواصل بيانه خاصة في الفصل الخامس.

64 شاعر يوناني قديم.

XIX - سيكون بإمكانك أن تحكم، يا أقريطون، إن أردت أن تسمع ما حدث لنا فيما بعد. لقد عاودنا البحث في المسألة تقريبا كما يلي: لنر، فنّ الملك هذا الذي يحكم كلّ شيء، هل ينتج شيئا أم لا ينتج أيّ شيء ؟ - لا شكّ أنّه ينتج شيئا، قلنا لبعضنا. ألا تقرّ، أنت أيضا، بذلك، يا أقريطون.

أقريطون

نعم.

سقراط

أيّ شيء ترى إذن أنّه ينتجه ؟ مثلا إذا سألتك: الطبّ الذي يحكم كلّ ما يدخل في إطار تصرّفه، ماذا ينتج ؟ ألن تقول، الصحّة ؟

أقريطون

نعم.

سقراط

وفن الفلاحة، فنّكم الذي يحكم كل ما في إطار تصرّفه، أيّ شيء ينتج ؟ ألن تجيب أنّه ينتج الغذاء الذي يستخرجه من الأرض؟

أقريطون

نعم.

سقراط

وفنّ الملك الذي يحكم كلّ ما في إطار تصرّفه، ماذا ينتج؟ ربّما احترت قليلا في الإجابة.

أقريطون

نعم، وحق زوس، يا سقراط.

سقراط

لم نكن نحن أيضا أقلّ حيرة، يا أقريطون. لكنّك تعرف على الأقل، أنّه إذا كان الفنّ الذي نبحث عنه، فيجب أن يكون مفيدا.

أقريطون

بالتأكيد.

سقراط

يجب إذن أن يوفّر لنا خيرا ما؟

أقريطون

هذا ضروري، يا سقراط.

سقراط

والحال هذه، اتفقنا، كليناس وأنا، على أنّ الخير ليس شيئا آخر غير علم.

أقريطون

نعم، هذا ما كنت تقوله.

سقراط

لكن كل الآثار التي يمكن أن نردّها إلى السياسة - وهي بلا شك كثيرة - مثل الثروة، والحرّية، والانسجام بين المواطنين، كل هذه الآثار بدت لنا أنها ليست لا خيرات ولا شرور، في حين أن هذا الفن هو الذي عليه أن يجعلنا حكماء وأن يعطينا العلم ليكون مفيدا لنا ويجعلنا سعداء.

أقريطون

هو ذا، إلى هذه النتيجة بالفعل وصلتم، بحسب ما نقلته لي من الحوار.

سقراط

فنّ الملك يجعل الناس إذن عالمين وطيبين؟

أقريطون

ما الذي يمنعه من ذلك، يا سقراط؟

سقراط

هل يردّهم كلّهم طيبين وفي كلّ شيء؟ وكلّ العلوم، علم الإسكافي، وعلم النجار وكلّ العلوم الأخرى، هل هو الذي يلقنها لنا؟

أقريطون

لا أعتقد ذلك من جهتي، يا سقراط.

سقراط

أيّ علم إذن يلقننا في الآخر وأيّ فائدة يمكن أن نحصل عليها منه؟ يحب أن لا ينتج أيّا من الآثار التي لا هي سيّئة ولا هي طيّبة، وعليه أن لا ينتج أيّ علم آخر غير علمه الخاصّ به. هل علينا الآن أن نقول فيم يتمثل هذا العلم وكيف سنستخدمه؟ هل تريد أن نقول، يا أقريطون، إنّه العلم الذي به نجعل طيّبين أناسا آخرين؟

أقريطون

تماما.

سقراط

ولكن فيم سيكونون طيبين؟ هل سنقول كذلك إنهم سيجعلون طيبين أناسا آخرين بدورهم يجعلون أناسا آخرين طيّبين؟

الفصل الخامس:

ولكن فيم هم طيبون؟ هذا ما لا نراه في أيّ مكان، لأنّنا لا نعطي قيمة لما تنتجه السياسة من آثار. ما ذلك، ببساطة، إلا كما يقول المثل «قورنتوس، يا ابن زوس[65]، وكما قلت، ما زلنا بمثل البعد، أو أبعد أكثر من أيّ وقت مضى، عن معرفة ماذا عساه أن يكون هذا العلم الذي يعطينا السّعادة.[66]

أقريطون

وحق زوس، وقعتم، على ما يبدو، في حيرة كبيرة.

سقراط

---

65 يقال عن قورنتوس إنه الذي أسس مدينة «كورانت» Corinthe وهي مدينة يونانية قديمة، وكان أول ملك عليها، والعبارة التي استشهد بها سقراط «قورنتوس، يا ابن زوس» تعني التكرار بدون فائدة.

66 هذا المشكل هو الذي سيعالجه أفلاطون في محاورة «الجمهورية».

فيما يخصّني، يا أقريطون، وعندما رأيت أنّي وقعت في هذا الحرج أخذت أتوسل بكلّ الطرق إلى الغريبين، أستنجد بهما حتى ينقذاننا، أنا والفتى، من هذه الموجة الثالثة التي أثارها النقاش، وحتى يبذلا كلّ ما لديهما من جديّة ويريانا على نحو جدّي ماذا عساه أن يكون هذا العلم الذي بامتلاكه سنحسن قضاء بقية حياتنا[67].

أقريطون

و إذن، هل رضي أوتيدام أن يريكما شيئا من هذا العلم ؟

سقراط

لا شك في ذلك، يا رفيقي، وقد توجه إلينا بهذا الكلام الرائع:

XX - "هل يجب عليّ، يا سقراط، أن ألقنك هذا العلم الذي حيّرك منذ زمن بعيد، أم إن أريك أنّك تملكه؟

- "أيّها الرّجل المحظوظ، أجبت، هل هذا في مقدورك؟

- بالتأكيد، قال.

- أرني، وحق زوس، استأنفت، كيف أنّني أملكه. سيكون ذلك أنسب إليّ من تعلمه في السنّ الذي بلغته الآن.

- حسنا، أجبني، قال: هل ثمة شيء تعرفه؟

- بالتأكيد قلت، بل حتى أشياء كثيرة، لكنّ قيمتها قليلة.

- هذا كاف قال: الآن هل ترى ممكنا أنّ من بين الأشياء التي توجد، بعضها لا يكون بالضبط ما هي.

-لا، بالتأكيد، لا أعتقد ذلك.

- والحال هذه، قال، أنت تعرف شيئا ما؟

- نعم.

- أنت إذن عالم، بما أنّك تعرف.[68]

---

67 تظاهر سقراط بالعجز - طبقا لشعاره «كل ما أعرفه هو أنني لا أعرف شيئا» ليتمكن من فضح هذين السفسطائيين بكيفية أفضل.

68 يتلاعب أوتيدام بالعبارتين «أنت تعرف شيئا ما» و«أنت تعرف» ليقنع سقراط بأنّه عالم: إذا كان سقراط عارفا (على نحو مطلق) إذن فهو عالم، لكن سقراط لم يجب إلا على السّؤال «أنت تعرّف شيئا ما، لذلك سيعارض سقراط أوتيدام الذي يريد الاستمرار في التلاعب بالعبارات والمعاني. سيسمّي أرسطو فيما بعد هذا النّوع من التلاعب، تلاعبا «بالنسبي والمطلق» (انظر «الدحوضات السفسطائية").

- بالتأكيد، على الأقل فيما يتعلق بهذا الشيء.

- هذا لا يهمّ. ولكن ألست مرغما على أن تعرف كل شيء، ما دمت عالما؟

- لا، وحق زوس، أجبته، بما أنّه توجد أشياء أخرى كثيرة أجهلها.

- والحال هذه، إذا كنت لا تعرف شيئا من الأشياء، فأنت لست عالما.

- لا، يا عزيزي، فيما يتعلق بهذا الشيء فقط، قلت.

- هل يجعلك ذلك أقلّ جهلا ؟ قال. والحال أنّك أكّدت منذ حين أنّك عالم. وهذا يعني أنّك بالضبط ما أنت في نفس الوقت[69]، وفي المقابل أنك لست أنت، بالنسبة إلى الأشياء الأخرى[70].

- حسنا، قلت، يا أوتيدام؛ إذ حسب القول المعروف، كلّ ما تقوله هو حسن القول. لكن كيف أملك هذا العلم الذي نبحث عنه ؟ بما أنه يستحيل حقا على الشيء أن يكون في نفس الوقت أن لا يكون، إذا كنت أعرف شيئا، فأنا أعرف كلّ شيء، لأنّني لا أستطيع أن أكون عالما وجاهلا في نفس الوقت، ولكن بما أنني أعرف كل شيء، فأنا أملك أيضا ذلك العلم[71]. أليس على هذا النحو تفكر وهل هذا مفتاح أسرار علمك؟

- ها أنت تدحض نفسك، يا سقراط، قال.

- ولكن، أنت، يا أوتيدام، ألست بالضبط في نفس الوضع؟ بالنسبة إليّ، مهما يحدث لي، إذا شاركتكما فيه، أنت وديونيزودور هذا العالم العزيز الذي هو أمامنا، فإني لن أشتكي بأيّ صفة. قل لي، ألا توجد أشياء تعرفانها، أنتما الاثنان، وأخرى لا تعرفانها؟[72]

- لا أبدا، يا سقراط، قال ديونيزودور.

- ماذا تعنيان؟ تابعت. هل أنّكما إذن لا تعرفان أي شيء.

- لا بكلّ تأكيد، قال.

- عندئذ، تعرفان كلّ شيء، استأنفت، بما أنّكما تعرفان على الأقلّ شيئا؟[73]

---

69 أي عندما قلت أنك عالم.

70 أي عندما تتحدّث عن الأشياء التي تجهلها.

71 يعتبر سقراط أنه يجهل أشياء وإن ادّعى أوتيدام أنّ سقراط إن عرف شيئا فهو يعرف كلّ الأشياء لأنّ المرء ليس بإمكانه أن يكون في الوقت نفسه عارفا وجاهلا يبحث عن المعرفة.

72 سيحاول سقراط حمل أوتيدام وديونيزودور على الإعتراف بجهلهما، ولكن دون جدوى.

73 يقلب سقراط طريقة أوتيدام وديونيزودور في الحجاج ضدّهما.

- نعرف كلّ شيء، قال، وأنت أيضا، إن لم تكن تعرف إلا شيئا واحدا، فأنت تعرف كلّ شيء.

- آه يا زوس، أي خير عجيب وعظيم انكشف لنا، إذا صدقناك؟

- هل أنّ بقيّة النّاس أيضا يعرفون، أم لا يعرفون شيئا ؟

- بالتأكيد، قال، إذ يستحيل أن يعرفوا أشياء وأن يجهلوا البقيّة وأن يكونوا في نفس الوقت عارفين جاهلين.

- وعندئذ ؟ قلت.

- كلهم يعرفون كلّ شيء، قال، إذا عرفوا شيئا واحدا.

و حق الآلهة، قلت، أرى جيّدا، يا ديونيزودور، أنكما جديان الآن، حتى ولو أرغمتكما بمشقة على الكلام بجدية، هل من الممكن أنكما أنتما بالذات تعرفان كلّ شيء، مثلا فنّ النجّار وفنّ صانع الأحذية؟

- تماما، قال.

- هل أنّكما قادران على خياطة الأحذية ؟

- وعلى إعادة خياطتها، وحق زوس، قال.

- وتعرفان أيضا أشياء كعدد الكواكب وذرات الرمل؟

- بلا شكّ، أجاب، أتعتقد إذن أنّنا لا نجرؤ على الموافقة ؟[74]

XXI - عند ذلك، قال ستيزيب، وهو يأخذ الكلمة: «وحق زوس، يا ديونيزودور، أعطوني حجة تقنعني بأنكما تقولان الحقيقة.

- أيّ حجة يجب أن أقدّمها لك؟ قال.

- هل تعرف كم عدد أسنان أوتيدام، وهل يعرف أوتيدام كم عدد أسنانك ؟

- هل لا يكفيك تأكيدنا أنّنا نعرف كلّ شيء؟

- لنترك تأكيدكما جانبا، أجاب ستيزيب، وقدّما لي فقط علاوة على ذلك حجة تثبت أنكما تقولان الحقيقة. إذا قلتما كم لبعضكما من أسنان، ورأينا أنكما تعرفان ذلك، من خلال حسابها، سنصدقكما حينئذ في البقية.

---

74 يبالغ سقراط في أمثلته ليبين أنّ المسألة بالنسبة إلى هذين السفسطائيين لم تعد مسألة حقيقة، بل مسألة تعنّت وخوف من أن يُمسا في كبريائهما. وهذا التعنّت يناقض إيتيقا النقاش.

- وهما يعتقدان أنّنا نسخر منهما، رفضا الإجابة، واكتفيا بالتمسك، عند كلّ سؤال يطرحه ستيزيب، بأنّهما يعرفان كلّ شيء؛ إذ إن ستيزيب لم يرأف بهما، ولم يكن هنالك سؤال يطرحه عليهما، مهما خرج عن المألوف، إلا وطلب منهما إن كانا يعرفان. وقد صمدا معا بعناد أمام الاستجواب، متمسكين بأنّهما يعرفان، كالخنازير البريّة التي تلقي بنفسها أمام الضربات، حيث إنني أنا أيضا استحوذ عليّ عدم التصديق، وجدت نفسي أسأل أوتيدام إن كان ديونيزودور يعرف أيضا يرقص، وهو يجيب، قال: تماما.

- لكنك لا تعرف، أعتقد، قلت، القفز بهلوانيا فوق السيوف، ولا الدوران فوق عجلة، في سنّك؟ معرفتك لا تذهب إلى هذا الحدّ؟

- ليس ثمة شيء لا أعرفه، أجاب.

- هل اليوم فحسب، استأنفت، تعرفان كلّ شيء أم أنكما عرفتماه دائما؟

- دائما، أجاب.

- وعندما كنتما صغيرين حديثي الولادة، كنتما أيضا تعرفان كلّ شيء؟

- "كل شيء" أكدا معا مرّة أخرى.

- لقد وجدنا، نحن، الأمر غير قابل للتصديق. عند ذلك قال أوتيدام: "أنت لا تصدقنا، يا سقراط.

- لا أصدّ ق إلا شيئا واحدا، انطلقت من جديد، وهو أنكما على ما يبدو ماهران.[75]

- وإذن، قال، إذا قبلت بأن تجيبني، فإني سأريك كيف توافق بنفسك على معرفة هذا العلم الرائع.

- آه، قلت، سأجد متعة في رؤية نفسي مقتنعا بهذا الأمر. إذا كنت عالما دون أن أدري وأريتني كيف أعرف كلّ شيء ومن زمن بعيد، فهل سأجد في حياتي نعمة أعظم من هذه؟

XXII - أجب، إذن، قال.

- سأجيب: اسأل.

- هل أنت عالم بشيء ما أم لست عالما بأي شيء؟

- أنا عالم بشيء ما.

- هل أنك بما يجعلك عالما تعرف أم بشيء آخر.

75 يمعن سقراط في السخرية من السفسطائيين.

- بما يجعلني عالما؛ إذ أتصور أنّك تتحدّث عن النّفس، أليس هذا ما تريد قوله؟

- ألا تخجل، يا سقراط، من الإجابة عن سؤال بسؤال؟[76]

- طيّب، قلت، ولكن ماذا تريدني أن أصنع؟ سأفعل ما ستأمرني به، إن لم أفهم سؤالك، فهل تأمرني بأن أجب وإن لم أطرح أيّ سؤال؟

- أنت تفقه بلا شكّ، شيئا من كلامي، قال.

- نعم، أجبت.

- حسنا، قال، أجب على ما تفهم.

- وإذا كان لك وأنت تسأل، قلت، شيء في ذهنك، في حين أنني أنا أفهم منه شيئا آخر، وإذا أجبتك فيما بعد بحسب ما أفهم، فهل ستكون راضيا إذا لم أقل شيئا يجيب عن السّؤال؟

- أنا، نعم، قال، أمّا أنت فلا، أتصور.[77]

- حسنا، قلت، وحق زوس، لن أجيب قبل أن أستفسر.[78]

- لن تجيب في كلّ الحالات على ما تفهم، قال[79]؛ لأنّك لا تقول سوى خزعبلات وتتجاوز بهرائك حدود المقدمات.

حينئذ فهمت أنّه غضب من رؤيتي أقوم بتمييزات فيما يقوله؛ لأنّه كان يريد أن يصيدني بلفي في شباك كلماته[80]. هذا ما أعاد إلى ذاكرتي كونّوس Connos[81] الذي كان هو أيضا يغضب منّي في كلّ مرّة لا أتنازل له فيها، والذي كان في تلك الفترة يقلّل من اهتمامه بي بتعلة أنّني فتى عنيد. ولكنّني لأنني أيضا كنت عازما على الانتساب إلى مدرسته، اعتقدت أنّه يجب عليّ التنازل خوفا من أن يتصور أنني طائش وأن لا يقبلني كتلميذ. لذلك قلت له: حسنا، يا أوتيدام، إذا أرضاك أن تتصرف على هذا النحو، فافعل ما يجب فعله. في كلّ الأحول

---

76 كما سبق، يطلب سقراط تدقيقات ليفسد فخاخ أوتيدام، ولكن أوتيدام يتهرّب منها باللجوء إلى المغالطة بواسطة مهاجمة شخص سقراط argumentum ad hominem.

77 هنا يبرز سقراط بوضوح كيف أنّ الحوار الحقيقي يجب أن يقوم على اشتراك في التمثلات بواسطة تحديد définition دقيق للكلمات، في حين يريد السفسطائي بالذات أن يفهم الطرف الآخر لا ما يفهمه السفسطائي، بل ما يريد إفهامه إياه بواسطة التلاعب بالمعاني (انظر المثال السابق المتعلق بمختلف معاني لفظة sens التي تفيد أحيانا «المعنى» وأحيانا أخرى «الإحساس»)

78 يرفض سقراط الإذعان لشروط أوتيدام.

79 أوتيدام واثق من قدرته على مغالطه سقراط.

80 لمواجهة المغالطات يجب القيام بتمييزات بين المعاني distinctions sémantiques والكلمات القريبة أو المتجاورة mots voisins ...

81 في بداية هذه المحاورة أشار سقراط إلى أنّه تابع دروس كونّوس.

أنت تعرف كيف تناقش أفضل منّي، أنا الذي لا تتجاوز معارفه معارف غير المختص[82]. أعد سؤالي إذن من جديد من البداية.

XXII - أجبني من جديد، إذن، قال، إذا كنت تعرف، فما تعرفه، تعرفه بواسطة شيء ما، أم لا؟

- نعم، أجبت، أعرفه بواسطة النفس.

- ها هو لا يزال، قال، يجيب أكثر ممّا نطلبه منه. ما أريد أن أعرفه، أنا، ليس ما الذي به تعرف، بل إن كنت تعرف بواسطة شيء ما.

- إذا أجبت مرّة أخرى، قلت، أكثر ممّا يجب، فبسبب جهلي، لكن سامحني، من اللحظة سأكتفي بالإجابة: ما أعرفه، أعرفه بواسطة شيء ما.[83]

- هل دائما، قال، بنفس الطريقة تعرف، أم أحيانا بهذه الطريقة وأحيانا أخرى بتلك؟

- دائما بهذه الطريقة، عندما أعرف.

- مرة أخرى، قال، منى ستكف عن الكلام الجانبي؟

- لكن ذلك خوفا من "دائما" هذه التي قد توقعنا في الخطإ.

- لا يتعلق الأمر بنا، قال، بل ربّما بك أنت. هل دائما بهذه الطريقة تعرف؟

- دائما، قلت، بما أنّه من الضروري طرح «عندما».

- بنفس الطريق، إذن، تعرف. والحال هذه، هذه الطريق التي بها تعرف، الأشيّاء الأخرى تعرفها بطريقة أخرى أم بهذه؟

- إنّ بهذه الطريقة، أجبت، أعرف كلّ ما أعرف.

- ها هو يعيد الكرة من جديد، قال، نفس الإضافة تتكرّر.

- حسنا قلت، أسحب «ما أعرف».

---

82 يواصل سقراط السخرية من أوتيدام بقوله إنه «يعرف كيف يناقش» في حين أنه هو «غير مختص».

83 يُظهر سقراط لأوتيدام مرّة أخرى تلاعبه، ويتظاهر بطلب المعذرة، غير أنه فيما بعد لن يتوقف عن استفساره ليكشف في كل مرّة عن مصدر المغالطة التي يريد أن يوقعه فيها.

- لا تسحب أيّ شيء، قال، لا أطلب منك شيئا. لكن أجبني: هل في مقدورك أن تعرف كل شيء على حد سواء إذا كنت لا تعرف الكلّ؟

- ستكون هذه معجزة: "أجبت".

- حين إذن قال لي: "أضف الآن ما يروق لك؟ لأنك تعترف الآن أنّك تعرف كلّ شيء.

- هذا ما يبدو، قلت، بما أن عبارة «ما أعرف» لا قيمة لها، أعرف إذن كل شيء[84].

- والحال هذه، اعترفت أيضا أنّك تعرف دائما بالطريقة التي بها تعرف، إمّا عندما تعرف أو ما شئت؛ إذ إنّك اعترفت بأنّك تعرف دائما وكلّ شيء في نفس الوقت. واضح إذن، أنك حتى عندما كنت طفلا كنت تعرف، وعندما ولدت وحملت بك أمّك، وحتى قبل ولادتك وولادة السماء والأرض، كنت تعرف كلّ شيء، بما أنّك تعرّف دائما. وأقسم بزوس، أضاف، إنّك ستعرف بنفسك دائما وكل شيء، إذا أردت أنا[85].

XXIII- آه، لترد ذلك، صرخت، يا أوتيدام الموقر، إن كنت تقول فعلا الحقيقة! لكني لست متأكدا جدا من قدرتك على تحقيق ما تقول، إلا إذا ضمّ أخوك ديونيزودور، الحاضر هنا، إرادته إلى إرادتك، في هذه الحال، قد تقدرا على ذلك. لكن قولا لي أنتما الاثنان، تابعت، بصفة عامّة لا أستطيع أن أرفض من رجلين مثلكما، حكمتهما تدهش إلى حد لا يصدق، أنّني أعرف كلّ شيء، ولكن في الحالة التي أعرضها عليكما، كيف أستطيع، يا أوتيدام، أن أقول إنّ الشرفاء غير عادلين؟ هيّا، تكلم: هل أعرف ذلك أم لا أعرف؟[86]

- تعرف هذا جيّدا، قال.

- ماذا؟ قلت.

- إن الشرفاء غير عادلين.

- تماما، انطلقت من جديد، ولكن ليس هذا ما أسألك عنه، بل أين عرفت أن الشرفاء غير عادلين؟

- ولا في مكان، أجاب ديونيزودور.

- هذا إذن، قلت، شيء لا أعرفه.

---

84 هذه هي نتيجة حجاج أوتيدام الزائف إذا «سحبنا» استفسارات سقراط.

85 يتصرّف أوتيدام هنا وكأنّه «مقياس كلّ الأشيّاء» وفقا لمقولة بروطاغوراس: "الإنسان هو مقياس كلّ الأشياء، وجود ما يوجد منها وعدم وجود ما لا يوجد»

l'homme est la mesure de toutes choses, de l'existence de celles qui existent et de la non existence de celles qui n'existent pas.

86 يواصل سقراط سخريته من السفسطائيين ويهيئ لبيان تناقضهما.

- أنت تدمّر استدلالنا، قال أوتيدام لديونيزودور، بإظهارك أن صاحبنا لا يعرف، وأنّه في الآن نفسه عالم وجاهل.»[87]

عند سماعه هذا الكلام أخذ ديونيزودور يحمرّ.

"لكن أنت، يا أوتيدام، استأنفت، ماذا تقول؟ أتتهم أخاك بالخطإ، هو الذي يعرف كلّ شيء؟

- هل أنا إذن أخ لأوتيدام؟ أسرع إلى القول ديونيزودور.

- لنترك هذا جانبا، أيّها الطيّب[88]، ريثما يخبرني أوتيدام كيف عرفت أنّ الشرفاء غير عادلين ولا تحسدني على هذا الدّرس.

- أنت تهرب، يا سقراط، ولا تريد إجابتي.

بطبيعة الحال، قلت: أنا دونكما قدرة، لذلك فإنّني لا أتحرّج من الهروب أمامكما. أنا أبعد من أن تكون لي قوّة هرقلاس Héraclès[89]، والحال أنّه، هو نفسه، لم يستطع الصّمود في المعركة في نفس الوقت أمام الهيدرة، السفسطائية التي، إن قطعنا رأسا من استدلالها، تستخدم علمها لتخرج رؤوسا عديدة بدل تلك الرّأس، وضدّ سرطان بحر ما، سفسطائي آخر مقبل من البحر قادم توّا منه. ولما كان هذا السرطان، على يساره، يضايقه بشتمه وعضه، فقد استنجد بابن أخيه، إيوليوس Ioléôs، الذي قدم له عونا فعّالا٠ لكن «إيوليوسي» أنا، باتروكلاس Patroclès، فهو إن تدخل، لن يفعل سوى أن يزيد الأمور سوءا.

XXIV – أجبني إذن، استأنف ديونيزودور، بما أنك ردّدت هذه الحكاية، هل كان إيوليوس ابن أخ هرقلاس أم ابن أخيك أنت؟

- أفضل ما عليّ أن أقوم به، يا ديونيزودور، هو أن أجيبك، قلت؛ إذ لا أمل في أن تضع حدًّا لأسئلتك، أنا متأكد تقريبا من ذلك: أنت تريد بدافع الحسد منع أوتيدام من أن يعلمني السرّ الذي أريد أن أعرفه.

- أجب، إذن، قال.

- أجيب إذن، قلت، إن إيوليوس هو ابن أخ هرقلاس. أمّا إن كان ابن أخي، فلم يكن، بأيّ درجة على ما يبدو؛ لأنّ أباه لم يكن باتروكلاس، أخي، بل إيفيكلاس، الذي يقترب اسمه من اسمه، أخ هرقلاس.

---

87 ديونيزودور بسذاجته يفضح النتيجة التي يري أن يتوصّل إليها سقراط.

88 يترك سقراط ديونيزودور جانبا لأنّه ليس الأخطر.

89 إشارة إلى قول مشهور عند اليونانيين: "هرقلاس هو نفسه لم يستطع شيئا أمام اثنين". في الأساطير اليونانية، لمّا كان هرقلاس يتصارع مع «الهيدرة» l'hydre (أفعى ذات سبعة رؤوس رأس من رؤوسها إلا ونبت آخر مكانه)، عضه سرطان بحر crabe ضخم، فاستنجد بإيوليوس، ابن أخيه إيفيكلاس Iphiclès، الذي قام بحرق رؤوس الهيدرة حتى لا تنبت من جديد. ويستخدم سقراط هذه الحكاية لتشبيه أوتيدام بالهيدرة ذات الرؤوس السبعة وديونيزودور بسرطان البحر. وباتروكلاس Patroclès، كما سيشير إلى ذلك سقراط في ما بعد، هو أخوه من الأمّ.

- وباتروكلاس، قال، هو أخوك؟

- تماما، قلت، أخي من الأم، وليس من الأب.

- هو إذن أخوك وليس كذلك قط.

- على الأقلّ، هو ليس كذلك من جهة الأب، يا صديقي الممتاز، قلت؛ إذ إنّ أباه كان كيريديموس Khairédèmos وكان أبي سوفرونيسك Sophronisque[90].

- وكان سوفرونيسك أبا، قال، وكذلك كيريديموس؟

- بلا شكّ، قلت: أحدهما كان أبي، والآخر كان أباه.

- عندئذ، تابع، كيريديموس كان غير أب؟

- على الأقلّ غير أبي، قلت.[91]

- هل كان إذن أبا، إذ كان غير أب؟ أنت ذاتك هل أنّك نفس الشيء والحجارة؟

- أخاف، قلت، أن يظهرني حجاجك نفس الشيء والحجارة، ومع ذلك لا أعتقد أنني كذلك[92].

- أنت إذن غير الحجارة؟

- بالتأكيد.

- حينئذ، قال، إذا كنت غير الحجارة فأنت لست حجارة؟ وإذا كنت غير الذهب فأنت لست ذهبا؟

- بالضّبط.

- وبالمثل، قال، كيريديموس، بما أنّه غير أب فلا يمكن أن يكون أبا؟

- يبدو بالفعل، قلت، أنّه ليس أبا.

---

90 سوفرونيسك هو أب سقراط.

91 كما فعل منذ بداية المحاورة، يتلاعب ديونيزودور بالمعاني والسياقات ليغالط سقراط الذي يطلب دائما تدقيقات ليفهمهما أنه على وعي بما يفعلان، ولكنه فيما بعد يتركهما يواصلان ليبين كيف أنهما يقبلان حتى بالإنتهاء إلى أشياء لا معقولة.

92 يشير سقراط إلى أنّ السفسطائي لا يهمّه أن يتوصّل إلى نتائج لا معقولة كهذه.

- وإذا كان كيريديموس حقا أبا، قال أوتيدام وهو يأخذ الكلمة، فإنّ سوفرونيسك بدوره، بما أنّه غير أب، لا يكون بدوره أبا، حيث إنّك أنت، يا سقراط، تصبح بلا أب.»[93]

عندئذ تدخّل ستيزيب قائلا: "و أبوكما أيضا، ألا يوجد في نفس الوضع ؟ أليس غير أبي»؟

- ينقص الكثير ليكون كذلك، قال أوتيدام.

- إذن هو نفسه؟ قال.

- هو نفسه بالتأكيد.

- هذا ما قد لا أقدر على إرادته معكما.[94] ولكن قل لي، يا أوتيدام، هل هو فقط أب بالنسبة إليّ، أم أيضا بالنسبة إلى بقية الناس الآخرين؟[95]

- بالنسبة إلى الآخرين أيضا، أجاب، أم إنّك تعتمد أنّ نفس الرجل وهو أب، لا يكون أبا؟

- كنت أعتقد هذا حقا، قال ستيزيب.

- هل كنت تعتقد أيضا، استأنف، أن الشيء بما هو ذهب لا يكون ذهبا، وبما هو إنسان لا يكون إنسانا؟

- اصمت، يا أوتيدام، قال ستيزيب، كما يقول المثل: "أنت لا تصل الكتان بالكتان"[96]. غريب كلامك، إن كان أباك، أب الناس جميعا.

- لكنه كذلك قال.

- هل أمّك هي أيضا أمّهم؟

- أمّي أيضا.

- عندئذ أمّك أيضا أم قنافيد البحر؟

---

93 حسب حجاج ديونيزودر، بما أنّ كيريديموس»ليس أب سقراط» فهو «ليس أبا»، ولكن إذا كان كيريديموس «هو حقا أب» - بما أنّه أب لباتروكلاس - فسفرونيسك «ليس أبا» - بما أنّه «ليس أب باتروكلاس» - وإذا سلمنا بأنّه «ليس أبا» - لهذا السبب - فالنتيجة هي أنّ «سقراط بلا أب»! وواضح أننا أمام مغالطة بواسطة تعميم ليس له ما يبرّره: إذا كان كيريديموس» ليس أب سقراط» فهذا لا يعني أنه «ليس أبا» بما أنّه «أب باتروكلاس». وإذا كان سفرونيسك «ليس أب باتروكلاس» فهذا لا يعني أنه «ليس أبا» لأنّه «أب سقراط». وهو ما سيجيز لستيزيب الردّ على ديونيزودر بقوله: "وأبوكما أيضا، ألا يوجد في نفس الوضع ؟ أليس غير أبي؟».

94 يسخر سقراط من ديونوزيدور وأوتيدام، لأنهما لا يليقان بأبيهما.

95 - حسب نفس الطريقة التي استخدمها ديونيزودور وأوتيدام، من «ليس أبا لشخص» «ليس أبا» في المطلق، ومن هو «أب لشخص» هو" أب» في المطلق، وإذن فإن «أب ديونيزودور أوأوتدام» هو "أب" لسقراط وحتى كل الناس.

96 مثل يوناني «أنت لا تقول أشياء منسجمة».

- وأمّك أيضا قال.

- وأنت، حينئذ، أخ للعجول، والكلاب الصغيرة، وصغار الخنازير البرية؟[97]

- نعم، وأنت أيضا، قال.

- وزيادة على ذلك، أبوك إذن كلب.

- نعم، وأنت أيضا، قال.

- ستوافق على ذلك الآن، يا ستيزيب، قال ديونيزدور، إذا رضيت بأن تجيبني. قل لي فعلا هل لك كلب؟

- نعم، وشرير، قال ستيزيب.

- هل له صغار؟

- نعم، قال، وأشرار مثله.

- الكلب أليس أباهم؟

- رأيته بأمّ عيني يفسد الكلبة.

- والكلب، أليس لك.

- بكلّ تأكيد، قال.

- هو أب وهو لك، إذن أبوك هو وصغاره إخوتك.

على هذا أسرع ديونيزودور إلى أخذ الكلمة من جديد، خوفا من أن يسبقه ستيزيب، قائلا: "سؤال آخر صغير: هل تضرب كلبك»؟

XXV - أخذ ستيزيب في الضّحك قائلا: "نعم باسم الآلهة، إذا لم أستطع أن أضربك أنت».

- أنت تضرب أباك، إذن.

- سيكون من الأفضل أن أضرب أباكما لإنجابه ولدين عالمين إلى هذا الحدّ. لكن لا شكّ، يا أوتيدام، أن الذي هو أبوكما وأب الكلاب الصغيرة، لا بدّ وأنّه غنم خيرات كثيرة من هذه الحكمة التي تظهرانها.

---

97 المغالطة بواسطة التعميم غير المبرر توصل إلى نتائج غير معقولة كهذه وكالتي ستلي. يصنف أرسطو هذه المغالطة ضمن «المغالطات غير اللفظية».

- لكنّه لا يحتاج إلى خيرات كثيرة، يا ستيزيب، لا هو ولا أنت.

- وأنت، يا أوتيدام، ألا تحتاج أيضا خيرات بنفس القدر؟

- ولا واحد آخر من الناس. قل لي ب‌الفعل، يا ستيزيب، ألا تعتقد أنّه من المفيد لشخص مريض أن يتناول شرابا، من أن لا يتناوله، عند الحاجة، أو عندما نذهب إلى الحرب، أن نذهب إليها حاملين سلاحا من نذهب إليها بدون سلاح؟

- نعم، أعتقد ذلك، قال: لكني أظن أنّك ستقول عجبا.

- هذا ما ستعرفه تماما، لكن أجب. بما أنك اعترفت بأنّه من المفيد لمريض أن يتناول شرابا عند الحاجة، أليس من الحق أيضا أن يتناول من هذا الخير أكبر كمية ممكنة وأنه سيكون من المفيد في هذه الحالة رحي كمية كبيرة من عشب الإليبور[98] لوضعها في هذا الشراب؟

- سيكون ذلك مفيدا تماما، استأنف ستيزيب، شرط أن يكون لمن يتناوله حجم تمثال دلفا.[99]

وبالمثل، في الحرب، تابع، بما أنه من المفيد أن يكون لنا سلاح، ألا يجب أن يكون لنا أيضا أكثر ما يمكن من الرماح والتروس، إن صحّ أنّ هذا خير؟

- نعم، بلا شكّ، قال ستيزيب، وأنت، يا أوتيدام، ألا تعتقد ذلك وهل يكفيك ترس واحد أو رمح واحد؟

- نعم.

- وجيريون Géryon، سأل، وبرياري Briarée[100]، هل ستسلحهما على هذا النّحو؟ فيما يخصني، كنت أظنك أمهر، أنت الذي تخوض المعارك بأسلحة حقيقية، وكذلك رفيقك.

- سكت أوتيدام، لكن ديونيزودور، وهو يعود إلى إجابات ستيزيب السّابقة، سأله: "وفي خصوص الذهب، ألا ترى امتلاك قدر منه خير؟

- يقينا، وحتى كثير منه، قال ستيزيب.

- والأشياء الحسنة، ألا تعتقد أنّه يجب أن يكون لنا قدر منها دائما وفي كل مكان؟

- يقينا قال.

---

98 عشب الإليبور l'ellébore، عشب معمّر يستخدمه اليونانيون كدواء.

99 تمثال دلفا statue de Delphes هو على الأرجح، حسب أميل شمبري، تمثال أبولون Apollon، وهو تمثال يتميز بضخامته.

100 كان لجيريون في الأساطير اليونانية ثلاثة أزواج من الأيدي، وكان لبرياري خمسون زوجا.

- ألا توافق على أن الذهب هو أيضا شيء حسن؟

- وافقت على هذا من قبل، أجاب.

- يجب أن يكون لنا منه إذن قدر دائما وفي كل مكان، وقمّة السعادة هي أن يكون لنا منه ثلاثة تالونات[101] من الذهب في البطن، طالون في الجمجمة، وستاتير[102] من الذهب في كلّ عين.[103]

- يقال فعلا إنّ عند السّيتيين[104] أسعد النّاس وأفضلهم من كان لهم قدر هام من الذهب في جماجمهم، إذا حاججنا كما كنت تفعل منذ حين، عندما كنت تسعى إلى إثبات أن الكلب هو أبي، وأغرب من ذلك بكثير، أنهم يشربون في جماجمهم المطلية بالذهب، وينظرون داخلها وهم يمسكون بأعلى رؤوسهم بين أيديهم.[105]

- هل أنّ السيتيين، والناس عموما، يرون الأشياء القابلة لأن تُرى أم تلك التي لا تكون قابلة لذلك؟

- تلك التي تكون قابلة لأن ترى، هذا بديهي.

- أنت إذن، أيضا تراها؟ قال.

- أنا أيضا.

- أنت ترى معطافنا؟

- نعم.

- إنّها إذن قابلة للرؤية.

- على أحسن ما يكون، قال ستيزيب.

- رؤية ماذا ؟ سأل.

- لا شيء. أنت ربّما لا تعتقد أنّها ترانا لفرط سذاجتك[106]. لكنّك، يا أوتيدام، تبدو نائما وأنت مستيقظ، وإن جاز الكلام، تتكلم دون أن تتكلم، وهذا ما تفعل.

---

101 التالون talent وحدة وزن يونانية قديمة كانت تساوي من 20 إلى 27 كغ.

102 الستاتير statère وحدة وزن قديمة تساوي من 8 إلى 12 غ.

103 مصدر المغالطة هنا هو اللبس الذي يحيط بعبارة «دائما وفي كل مكان».

104 السيتيون les scythes كانوا سكان «سيتيا" في العصور القديمة، الموافقة لجنوب روسيا يستخدمون جماجم أعدائهم ككؤوس يشربون فيها، وكان الأغنياء منهم يطلونها من الداخل بالذهب.

105 بواسطة التلاعب بمعنى عبارة «جماجمهم» يردّ ستيزيب على ديونيزودور وأوتيدام بقلب طريقتهم في المغالطة ضدّهم.

106 مصدر المغالطة هنا هي عبارة «قابلة للرؤية» التي تعني في نفس الوقت «قابلة لأن نراها» و"وقابلة لأن ترى».

XXVI- ألا يمكن إذن، سأل ديونيزودور، أن نتكلم ونحن صامتون؟[107]

- لا، ولو بنسبة قليلة، أجاب، ستيزيب.

- ولا أن نكون صامتين ونحن نتكلم؟

- لا، بنسبة أكبر، قال.

- عندما تقول حجارة، أو لوحا، أو قطعة حديد، ألا تقول أشياء صامتة؟[108]

- لا، إذا مررت أمام محلّ حدادة، قال، إذ يقال أنّ الحديد هناك يتكلم ويصرّخ عاليا، إذا مسسته. هكذا هذه المرّة، لفرط أنّك أردت أن تبدو حكيما أكثر من اللازم، لم تر أنّك لا تقول شيئا. لكن برهنا لي أيضا على النقطة الثانية وبيّنا لي كيف يمكن أن نصمت ونحن نتكلم.»

في هذه اللحظة بدا لي أنّ ستيزيب كان شديد التوتر بسبب من يحبّ.

- عندما تصمت، قال، ألا نجعل كلّ شيء صامتا؟[109]

- بلى، أجاب ستيزيب.

- أنت تجعل أيضا الأشياء التي تتكلم صامتة، بما أنّها جزء من كلّ الأشيّاء.

- كيف؟ استأنف ستيزيب، أليست كلّها صامتة؟

- بالتأكيد لا، أجاب أوتيدام.

- لكن عندئذ، يا أوتيدام المتفوّق، هي تتكلم؟

- على الأقل تلك التي تتكلم؟ أليس كذلك؟

- لكن، استأنف ستيزيب، ليس هذا ما أسألك عنه، بل إن كانت كلها تتكلّم.

---

107 هذه مغالطة أخرى.

108 في هذا المثال، مصدر المغالطة هو التلاعب بعبارتي «نتكلم ونحن صامتون»- وهي عبارة تبدو متناقضة - وعبارة «نقول أشياء صامتة» كالحجارة.

109 مغالطة أخرى على أنه بإمكاننا أن «نصمت ونحن نتكلم»: عندما نصمت لا نتكلم عن الأشياء، نصمت عنها، فنجعلها صامتة، "حتى تلك التي تتكلم»!

- لا هذا ولا ذاك، وفي نفس الوقت هذا وذاك، تابع ديونيزودور، آخذا فجأة الكلمة[110]. وأنا متأكد من أنك لن تستطيع استخلاص أي شيء من هذه الإجابة."

على هذا، وكعادته، أطلق ستيزيب ضحكة قوية وقال: "يا أوتيدام، أخوك، بهذه الإجابة الملتبسة، تاه وخسر».

وعلى هذا، لم يستطع كلينياس أن يمسك نفسه من السرور وأخذ في الضحك، ما جعل ستيزيب يعظم شأنا أكثر من عشر مرّات. لقد كشف صديقي الماكر ستيزيب، بشهادتهما، سرّهما؛ إذ لا أحد إلى حدّ الآن، غيرهما، يملك علما كعلمهما.[111]

XXVII- قلت إذن: "لماذا تضحك، يا كلينياس، من أشياء جدية وجميلة كهذه؟

- هل رأيت أبدا شيئا جميلا، يا سقراط؟ قال ديونيزودور.[112]

- نعم، قلت، وحتى كثيرا، يا ديونيزودور.

- تختلف عن الجمال، سأل، أو مماثلة له؟

وجدت نفسي في حيرة شديدة أثارتني واعتقدت أنني بذلك أنال عقابا عادلا على كوني فتحت فمي وتكلمت. ومع ذلك أجبت أنها تختلف عنه، لكن مع كلّ منها يوجد شيء من الجمال.[113]

عند ذلك قال، إذا وجد ثور معك تكون ثورا، ولأنّني الآن بجانبك، أنت ديونيزودور.[114]

- لا تشتم هكذا، قلت.

- لكن، كيف يمكن لشيء يوجد مع آخر، استأنفت، أن يكون آخر؟

- أهذا الذي يحرجك، قلت محاولا، لحسابي، تقليد حكمة هذين الرجلين الذين أحسدهما عليها.[115]

---

110 كلّ شيء ممكن في السفسطائيين، طالما يمكن إثباته. لذلك فهم ينفون إمكانية الخطأ، وهو ما ينقده سقراط وأفلاطون؛ لأن الاعتراف بالأخطاء هو شرط تجاوزها.

111 يسخر سقراط من أوتيدام وديونيزودور، ولكنّه يشير في نفس الوقت إلى أنّ ستيزيب استطاع فضح ألاعيبهما «بشهادتهما»، بقلب طرقهما في المغالطة ضدّهما.

112 تعتمد هذه المغالطة على الخلط المعتمد بين الجوهر والعرض إذ أنّ «الجمال» هنا «صفة» أو «عرض» وليس «جوهر» أو شيئا، كما سيبين أرسطو عند فضحه لأغاليط السفسطائيين في «الدحوضات السفسطائية» les réfutations sophistiques. تسمى هذه المغالطة «مغالطة بالعرض» paralogisme par l'accident.

113 فهو صفة فيها.

114 الخلط هنا بين العرض والجوهر واضح.

115 يعتزم سقراط، مثل ستيزيب، تقليد أوتيدام وديونيزودور ليبين لهما تفاهة «علمهما» وإلى أي نتائج لا معقولة يمكن أن يوصل.

- كيف لا أكون محرجا، قال، أنا والآخرين معي، أمام ما لا يوجد؟

- ماذا تريد أن تقول، يا ديونيزودور؟ تابعت: أليس الجمال جميلا والقبح قبيحا؟

- نعم، إذا كان كلامك يبدو لي أنا صحيحا.

- ألا يبدو كذلك؟

- نعم، قال.

- والشيء ذاته أليس كذلك هو الشيء ذاته، والآخر أليس هو الآخر؟ لأنّ الآخر ليس بالتأكيد الشيء ذاته. فيما يخصني كنت أعتقد أنّ حق الطّفل لا يستطيع أن يشكّ في أن الآخر هو الآخر. لكنك، يا ديونيزودور، تجاهلت عمدا هذا الأمر ولو أنّني، بصفة عامّة، أراكما كصانعين ينجزان الأعمال الخاصّة بصنعتهما، تتعاطيان بكيفية رائعة فنّ المجادلة.

- أنت تعرف إذن، استأنف، ما يلائم كلّ واحد من الصنّاع ؟ وقبل كلّ شيء من تلائم الحدادة؟ هل تعرّف ذلك؟[116]

- نعم، الحدّاد.

- وتطويع الطّين؟

- صانع الفخار.

- والذبح، والسلخ وتغلية اللحم وطبخه في الفرن قطعا صغيرة؟

- الطبّاخ، قلت.

- والحالة هذه، قال، إذا فعل أحدهم ما هو ملائم، سيفعل حسنا.

- بالتأكيد.

- والحالة هذه، ما يلائم الطباخ هو التقطيع والسّلخ؟ هل وافقت على ذلك، نعم أم لا؟

- وافقت على ذلك قلت، لكن سامحني.[117]

---

116 المغالطة التي يقوم سقراط بحبكها تقوم على تعدّد معاني «ما يلائم»

117 كأن ديونيزودور أحسّ بوقوعه في فخ سقراط، ولكن فات الأوان، عليه أن يقبل بالنتيجة.

- بديهي إذن، أنّه إذا قطعنا الطباخ وغليناه وطبخناه ؤ الفرن سنفعل ما يلائم، وإذا حمينا الحدّاد نفسه وطرقناه، وإذا عجنّا صانع الفخار، بكلّ هذا أيضا سنفعل ما يلائم.

XXVIII- آه يا بوزيدون Poseidon[118]، صرخت، ها أنت تتوج حكمتك. هل ستجيئ أخيرا هذه الحكمة، بشكل يجعلها لي.

- هل ستتعرّف عليها، يا سقراط، إن أتتك يوما وأصبحت لك على نحو خاصّ؟

- نعم، هذا بديهي قلت، شرط أن تريد أنت ذلك.

- وما هو لك، تابع، هل تعتقد أنّك تعرفه؟[119]

- نعم، إلا إذا كان لك رأي آخر، إذ معك أنت يجب أن نبدأ، ومع أوتيدام الحاضر هنا يجب أن ننتهي.

- الآن، استأنف، هل تعتبر ملكا لك ما أنت سيّد عليه وما تستطيع التصرف فيه بحسب رغبتك؟ مثلا، ثور أو خروف، هل تعتبرهما لك، إذا كانت لك حرية أن تبيعهما، أو أن تعطيهما، أو تقدمهما قربانا للإله الذي تريده ؟ وهل أن ما لا تستطيع التصّرف فيه على هذا النّحو لا تعتبره لك؟

وأنا، الذي أعرّف أنّ من هذه الأسئلة ذاتها سيخرج شيء رائع والذي أحترق شوقا لسماعه في أسرع وقت، قلت له: نعم، هو ذا، الأشياء من هذا القبيل هي التي فقط لي.

و ألا تعطى، سأل، اسم حيوان لما يحيا؟

- نعم، قلت.

- والحال هذه، من بين الحيوانات، أنت تعترف أنّ التي لك، هي فقط تلك التي تستطيع أن تفعل بها ما قلته الآن.

- اعترف بذلك.

في هذه اللحظة، توقف - ديونيزودور - عن الكلام متظاهرا بالتفكير العميق، وكأنه يدرس مسألة مهمة، ثمّ قال:

"قل لي، يا سقراط، هل لديك من أسلافك ما اسمه زوس؟

---

118 في الأساطير اليونانية، بوزيدون هو إله البحر.

119 يقوم يونيزودور بحبك مغالطة أخرى تقوم على التباس عبارة «ما هو لك».

وأنا، متوقع أين سيفضي حجاجه وأين أفضى بالفعل، حاولت الهروب بموارية مستحيلة، وبقيت أتلوى كما لو كنت واقعا في شباك.[120]

- ليس لدي ذلك، يا ديونيزودور، قلت.

- أنت إذن جدّ تعيس، لست حتى أثينيا، أنت ليس لديك آلهة من أجدادك، ولا عبادة، ولا أيّ شيء حسن أو جميل.

- آه! أقلت، تكلم على نحو أفضل، ولا تبدأ دروسك بمثل هذه الخشونة؛ إذ لي عبادات من عائلتي وآلهة من أجدادي وكلّ ما للأثينيين الآخرين من هذا الجنس.

- عندئذ، أليس للأثينيين الآخرين ما اسمه زوس[121] من أسلافهم؟

- هذه التسميّة، قلت، ليست معروفة من أيّ الإيونيين[122]، ولا من الذين هاجروا للإقامة في المهجر ولا منّا نحن، لكن لدينا أبولون من أجدادنا، فهو أب إيون[123]. وزوس لا يسمّى هكذا عندنا، بل يسمى إله أرض العشيرة، وأتينا Athéna هي إلهة العشيرة.

- كفى، قال، إذ لك، كما أرى، أبولون، وزوس، وأتينا.

- تماما، قلت.

- هؤلاء هم إذن أجدادك؟ تابع.

- أجدادي وأسيادي، قلت.

- في كلّ الأحوال هم لك؟ ألم تعترف بأنّهم لك؟

- نعم، اعترفت بأنّهم لي، ما العمل؟

- هذه الآلهة، أليست أيضا حيوانات؟ لأنّك اعترفت بأنّ كلّ ما يحيا حيوان؟ أم إنّ هذه الآلهة ليس لها حياة؟

- لها حياة، قلت.

---

120 بهذا التشبيه يبرز سقراط كيف أنّ الذي يقبل بمسلمات السفسطائي دون مناقشتها يقع في «شباك» ولا يستطيع الإفلات منها؛ لأن من قبل بالمقدّمات عليه أن يقبل بالنتائج.

121 زوس Zeus إله يوناني وكذلك أبولون Apollon.

122 الأيونيون les ioniens، سكان إيونيا l'Ionie، المتموقعة وسط آسيا الصغرى والتي غزاها اليونانيون فترة كبيرة قبل الميلاد واستقروا بها.

123 إيون Ion وأتينا Athéna إلهان يونانيان.

- إنّها إذن حيوانات أيضا؟

- عم، أجبت.

- والحال هذه، من بين هذه الحيوانات، اعترفت أنّ التي لك هي التي تستطيع إعطاءها، أو بيعها، أو تقديمها قربانا للإله الذي تريده؟

- لقد اعترفت بذلك، قلت، ويستحيل عليّ التراجع، يا أوتيدام.

- وإذن، استأنف، قل لي الآن، بما أنّك اعترفت بأن زوس وبقية الآلهة لك، هل تستطيع بيعهم، أو إعطاءهم أو التصرّف فيهم برغبتك كما بالنسبة إلى الحيوانات الأخرى؟».

عند ذلك، أنا، يا أقريطون، تحت وقع تلك الكلمات فقدت كلّ قدرة على الكلام[124]، لكنّ ستيزيب سارع إلى نجدتي، وهو يصرخ: "أحسنت، يا هرقلاس، ما أجمل هذا الاستدلال!"

على ذلك قال ديونيزودور: "هل هرقلاس هو أحسنت، أم أحسنت هو هرقلاس؟»

- آه يا بوزيدون، ما أهول هذه المناقشات! أنسحب من المقابلة: هذان الرّجلان لا يُهزمان.

XXIX- في هذه اللحظة، يا عزيزي أقريطون، لم يوجد واحد من الحاضرين لم يُنشه حجاج هذين الغريبين، كانوا يضحكون ويصفقـــون، مبتهجين حدّ الانفجار أو يكادون. إلى ذلك الحين، قوبلت كلّ استدلالات أوتيدام، الواحد منها بعد الآخر، بتصفيق حار وشديد، من أصدقائه فقط، أمّا فيما بعد فكان بالإمكان أن تعتقد أنّ أعمدة اللوقيوم[125] نفسها تهتف بحماسة لهذين الرّجلين وتعبّر عن بهجتها. أنا نفسي، وجدّتني، منساقا للاعتراف بأنّني لم أر في حياتي قطّ رجلين ماهرين مثلهما. وأنا مشدوه بحكمتهما أخذت في مدحهما وتمجيدهما قائلا: "ما أسعدكما رجلين موهوبين إلى حدّ مذهل تمكنتما في وقت جدّ وجيز من تحقيق شيء هام إلى هذا الحدّ! في خطابكما، يا أوتيدام ويا ديونيزودور، كثير من الأشياء الجميلة، لكن يوجد من بينها شيء رائع على نحو مخصوص، وهو أنكما لا تكترثان إلى حدّ كبير بالنّاس، وعلى وجه الخصوص بالناس الجدّيين الذين اشتهروا بقيمتهم، وأنّكما لا تباليان إلا بأشباهكما. أنا متأكد جدّا أنّ كلامكما لا يستطيع أن يرضي إلا عددا قليلا من النّاس، أولئك الذين يشبهونكما. أمّا الآخرون، فلا يعيرون لكلامكما إلا قليلا من الأهمية إلى حدّ أن خجلهم من استخدامه لدحض شخص ما يفوق بكثير خجلهم من أن يُدحضوا هم أنفسهم به[126]. كلامكما يُظهر أيضا شيئا

124 وجد سقراط نفسه مرغما على قبول نتيجة هذه المغالطة، ولكنّه حقق في الآن نفسه انتصارا، مثل هرقلاس، إذ استطاع فضح ديونيزودور وأوتيدام، وهو ما يعبّر عنه ستيزيب بقوله لسقراط: "أحسنت، يا هرقلاس، ما أجمل هذا الاستدلال!" حيث أن سقراط، في مناسبة سابقة في هذه المحاورة، قام بتشبيه نفسه بهرقلاس الذي حقق انتصارا في صراعه مع الهيدرة وسرطان البحر (انظر هوامش الفقرة XXIII).

125 اللوقيوم Le lycée – Lyceum - كان قاعة لتعاطي الرياضة البدنية في الشمال الشرقي لأثينا، قرب معبد أبولون اللقيومي- Apollon lycien، من هنا اسم «اللقيوم». أعطى أرسطو فيما بعد دروسه في هذا المكان.

126 من الأفضل بالنسبة إلى سقراط أن يُدحض المرء بحجج حقيقية من أن يُدحض بحجج زائفة.

من التهذيب واللطف: عندما تؤكّدان أنّه لا يوجد أي شيء جميل، أو حسن، أو أبيض، أو أيّ شيء آخر من هذا القبيل، وأنّه لا يوجد على الإطلاق شيء من هذه الأشياء يختلف عن الأخرى، فمن الحق أنّكما بالفعل، تخيطان أفواه الآخرين، كما تقولان؛ ولكن بما أنّكما لا تقومان بهذا بالنسبة إلى الآخرين فحسب، بل أيضا بالنسبة إلى أنفسكما كما يبدو، فهذه طريقة جد لطيفة تنتزع من كلامكما ما فيه يصدم. أخيرا، وهذه هي أهمّ نقطة، علمكما على درجة من الجودة، واكتشاف على درجة من الروعة، إلى حد أنّ أيّ شخص يستطيع تعلمه في لحظة. عاينت هذا بنفسي وأنا ألاحظ ستيزيب وأرى بأيّ سرعة استطاع أن يقلده بارتجال[127]. علمكما شيء جميل، من جهة أنّه قابل لأن يتعلم بسرعة، ولكنّه لا يصلح في المناقشة أمام العموم[128]. وإذا رضيتما بتصديقي، فاحذرا الحديث أمام مستمعين كثيرين، خوفا من كونهم لتعلمهم بسرعة ما تعلمان، لا يعترفون لكما بالجميل على ما قمتما به. بقدر ما يكون ذلك ممكنا، تناقشا فيما بينكما وحدكما، وإلا إذا قمتما بذلك في حضور شخص آخر، فليكن هذا الشخص هو وحده الذي يدفع لكما مالا مقابل ذلك. هذه النصائح ذاتها، إن كنتما حكيمين، قدّماها أيضا لأتباعكما: أن لا يتناقشا أبدا مع أي كان، إلا معكما أو فيما بينهما. إذ الندرة هي التي يا أوتيدام، تعطي الأشياء ثمنها. أمّا الماء، على العكس من ذلك، فهو بخس الثمن، مهما كان أفضل الخيرات، حسب ما يقول باندار Pindare[129]. ولكن لا بأس، قلت، فكّرا في أن تقبلا بنا، أنا وكلينياس، من بين أتباعكما».

XXX- بعد هذه المحادثة، تجاذبنا أطرافا أخرى من الكلام ثمّ انصرفنا. رتّب أمورك الآن لتتابع معي دروس هذين الغريبين. يؤكدان معا أنهما يستطيعان أن يعلما كلّ من يدفع لهما مالا، وأنّهما لا يستثنيان لا الطبع ولا السنّ، وحتى، وهذا ما يحسن بك أن تعرفه، يؤكّدان أنّهما لا يعطّلان أبدا تعاطي حتى الأعمال الأخرى. باختصار، أي كان يستطيع بسهولة تلقي علمهما[130].

أقريطون

ما من شكّ، يا سقراط، أنني أحبّ سماع الحديث، وأرغب في تعلم شيء ما، لكن أخشى ما أخشاه أن أكون، أنا أيضا، من بين الذين لا يشبهون أوتيدام، أولئك الذين كنت تتحدّث عنهم أنت بنفسك، والذين يفضلون أن يُدحضوا بمثل تلك الحجج على أن يدحضوا غيرهم بها. ومع ذلك، رغم أنّي لا أريد أن ألومك إلا أنّني على الأقل سأنقل لك ما سمعت. اعلم أنّ أحد الذين غادروكم اقترب منّي، لما كنت أتترّه، وقال لي: "يا أقريطون، أنت لم تسمع قط هذين العالمين؟

لا، وحق زوس، أجبت، إذ لم أستطع الاقتراب منهما بسبب كثرة النّاس حولهما.

---

127 يسخر سقراط من أوتيدام وديونيزودور، ولكنه يشير أيضا إلى السرعة التي بها استطاع ستيزيب تقليدهما وقلب طريقتهما في المغالطة ضدّهما.

128 هذا الموقف هو موقف سقراط وأفلاطون: المناقشات السفسطائية لا تفيد في الحياة العامّة، في السياسة والأخلاق، بل تفسدهما.

129 شاعر يوناني قديم.

130 يواصل سقراط السخرية من أوتيدام وديونيزودور.

- ومع ذلك، قال، كانا جديرين بأن تستمع إليهما.

- لماذا؟ سألت.

- كنت ستستمع إلى رجلين بارعين في المناقشة، هما اليوم أمهر ما يوجد في هذا النّوع من الخطاب.

- أي انطباع، قلت، تنقله عن خطابهما ؟

- أيّ انطباع آخر يمكن نقله، غير الذي نحسّه دائما عندما نسمع ثرثرة من ذلك النّوع تتعلق بتفاهات خارجة عن الموضوع ؟" هذا تقريبا ما قاله حرفيا.

"ومع ذلك، انطلقت من جديد، شيء جميل هي الفلسفة.

- كيف جميل، يا أسعد النّاس! قل بالأحرى: بلا قيمة. لو كنت هناك منذ حين، لخجلت جدّا لصديقك، لفرط ما بدا غريبا باستسلامه طواعيّة لأناس لا يهتمون بما يقولون بل يتعلقون فقط بالكلمات[131]. وهؤلاء النّاس هم، كما قلت منذ حين، من بين أكثر معاصرينا شأنا. ولكن في الواقع، يا أقريطون، هذا العمل ذاته والذين يتعاطونه في مرتبة أدنى من ذلك ووضعهم مثير للسّخرية.» فيما يخصّني أنا، وجدت أن سقراط مخطئ، هو كأيّ واحد آخر، في إضاعة الوقت في نقد هذا العمل[132]، ولكن بخصوص الاستسلام للمناقشة مع هؤلاء النّاس أمام عدد كبير من الحاضرين، بدا لي ذاك الرّجل محقا في لومه.

سقراط

XXXI- الناس كالذين تذكرهم، يا أقريطون، نوعهم جدّ غريب. ولا أعرف بعد ماذا يجب أن أقول بخصوصهم. إلى أيّ جنس ينتمي هذا الرجل الذي حدّثتني عنه، والذي تحامل على الفلسفة[133]؟ هل كان واحدا من أولئك الذين يتميزون بمهاراتهم في المرافعة أمام المحاكم، أم كان من أولئك الذين يجعلونهم يمثلون أمامها، أم إنّه كان محرّر خطب للخطباء الذين يرافعون؟

أقريطون

- لا، وحق زوس، ليس خطيبا ولا أعتقد حتى أنّه رافع قطّ أمام المحاكم، ولكن يقال إنّه مرجع في هذا الأمر، نعم وحق زوس، وأنّه ماهر ويؤلف خطبا بارعة.

سقراط

131 مناقشات السفسطائيين خارجة عن الموضوع لأنّهم «لا يهتمّون بما يقولون، بل يتعلقون فقط بالكلمات».

132 سيبيّن سقراط أنّ هذا الشخص الذي يتحدث عنه أقريطون يراوغ، وأنّه ينتمي إلى «جنس ثالث» وخطير، يتوسّط الفلسفة والسياسة دون أن يتفوّق في أيّ منهما.

133 سقراط يدافع عن الفلسفة ويرى أنّ اتهامات ذلك الرّجل في غير محلها إذ فيها خلط بين السفسطة والفلسفة.

ها أنّي بلغت المبتغى: هؤلاء هم الذين كنت سأتحدّث عنهم اللحظة. هؤلاء، يا أقريطون، هم الذين قال عنهم بروديكوس[134] إنّهم عند الحدود بين الفلسفة والسّياسة. يعتقدون إنهم أعلم الناس، ولا يعتقدون هذا الأمر فحسب، بل أكثر من ذلك يعتقدون أنهم مشهورون عند كثير من الناس لعلمهم، حيث إنّه كان بإمكان شهرتهم أن تكون كاملة لو لا مناصري الفلسفة الذين يقفون وحدهم عائقا أمامهم. ويتصورون إذن أنهم إذا استطاعوا أن يظهروهم كأناس بلا جدارة، سيفوزون أمام الجميع بتاج الحكمة؛ إذ يعتقدون حقيقة أنّهم الأكثر حكمة، وأنّ الفلاسفة عندما يُهزمون في محادثة خاصّة، فالفضل في ذلك لأوتيدام ومدرسته. فضلا عن أنّ الفكرة الرّفيعة التي لديهم عن حكمتهم طبيعية؛ إذ يعتقدون القيام بحساب جدّ معقول عندما يستخدمون الفلسفة دون إكثار، والسياسة دون إكثار بما أنّهم بالمشاركة فيهما معا، في حدود ما هو ضروري بالضبط، يجنون مزايا الحكمة دون تعريض أنفسهم للمخاطر والدخول في الصّراعات.

أقريطون

وإذن، يا سقراط، ألا تعتقد أنّهم على حق؟ لا شكّ أنّ في أطروحتهم شيئا خادعا.

سقراط

أنت على حق، يا أقريطون: إنّها خادعة أولى من أن تكون صادقة. ليس من السّهل أن تقنعهم بأنّ أناسا أو أي شيء آخر يتوسط شيئين ويشارك فيهما معا، إذا كانا مركبين من خير وشر، يكونان أفضل من الواحد وأسوأ من الآخر، وإذا كانا مركبين من خيرين لا يتجهان إلى نفس الغاية، يكونان أقلّ فضلا من الاثنين لو اتجه كلّ عنصر منهما للغاية التي يستطيع خدمتها، إذا كانا مركبين من شرّين، ليس لهما نفس الموضوع، واتخذا موقعا متوسطا بينهما، فهذه هي الحالة الوحيدة التي يكونان فيها أفضل من كلّ واحد من العنصرين الذين يشاركان فيهما. إذا كانت الفلسفة خيرا إذن، وكانت الممارسة السياسيّة خيرا أيضا، كان ولكل منهما موضوع مختلف، وإذا كان هؤلاء الناس يشاركون في الاثنين ويتوسّطهما، فإنّ أطروحتهم بلا قيمة؛ لأنهم لا يساوون لا الفلاسفة ولا السياسيين. وإذا كانتا خيرا وشرّا، فإنّهم يكونون أفضل من واحدة، وأقلّ فضلا من الأخرى. وإذا كانتا شرّا الواحدة والأخرى، في هذه الحالة يكون في أطروحتهم شيء من الصحّة. لكنّني لا أعتقد أنّهم يصادقون على أنّهما شرّ معا، أو أنّ إحداهما خير والأخرى شرّ. وفي الحقيقة، بما أنّهم يشاركون في الاثنين معا، فهم أقلّ درجة من الواحدة ومن الأخرى فيما يتعلق بالغايات التي تستحق الفلسفة والسياسة لأجلها الاعتبار، وهم يحتلون بالواقع المرتبة الثالثة، في حين يحاولون إيهام أنّهم يحتلون المرتبة الأولى. لنغفر لهم طموحهم، دون غضب، ولنحكم عليهم بحسب ما لهم من قيمة. يجب أن نحسّ بالرضا عندما نجد شخصا، مهما كان، يقول شيئا معقولا ويعمل بشجاعة على تحقيقه.

أقريطون

134 سبق لسقراط أن أشار إلى بروديكوس Prodicos في بداية هذه المحاورة (انظر هوامش الفقرة VII، الفاصل الأوّل).

XXII- فضلا عن هذا، أنا نفسي، كما أقول لك دائما، محتار فيما يخصّ ولديّ: لا أعرف ماذا أفعل بهما. أحدهما لا يزال جدّ صغير، والآخر، قريطوبول كبير[135] بعدُ وأبحث عمّن يقدّم له دروسا مفيدة. فيما يخصّني أنا، عندما ألتقي بك، أحسّ بأنني أميل كثيرا إلى اعتقاد أنّه من الجنون ما احتملته من عناء بسبب أطفالي، أوّلا زواجي من أمّهما من عائلة جدّ نبيلة لإنجابهما، ثمّ جمع المال لأجعلهما غنيين قدر الطاقة. لكن عندما ألقي نظرة على الذين يقدمون أنفسهم على أنّهم مربّون، أبقى مذهولا؛ إذ إن كل واحد منهم يظهر لي بعد الاختبار، غريب الأطوار تماما، حتى أقول لك الحقيقة. ولهذا، فإنّني لا أرى كيف أدفع هذا الولد إلى دراسة الفلسفة.

سقراط

يا أقريطون العزيز، هل نجهل أنّ في كل نشاط، الناس الذين هم دون المتوسّط، والذين هم أقلّ قيمة هم الأكثر عددا، وأنّ الجدّيين والذين يستحقون ثقتنا يمكن عدّهم بسهولة؛ إذ في الآخر ألا تبدو لك الرّياضة البدنية شيئا جميلا، وكذلك علم الاقتصاد، والخطابة وقيادة الجيوش؟[136]

أقريطون

بلا شكّ؟

سقراط

إذن، في كلّ واحد من هذه الفنون، ألا ترى أنّ أغلبيّة النّاس يعرّضون أنفسهم للسخرية فيما يفعلون؟

أقريطون

نعم، وحق زوس، هذه هي الحقيقة.

سقراط

وإذن، أفهذا سبب لتهرب أنت نفسك من كلّ الأعمال ولا تدفع أولادك إليها؟[137]

أقريطون

لا، يا سقراط، لن يكون هذا عادلا.

سقراط

135 سبق لأقريطون أو أشار لابنه قريطوبول في بداية هذه المحاورة.

136 الفلاسفة الحقيقيون قلة و«الأشباه» simulacres كثرة.

137 كثرة المتطفلين على الفلسفة ليست مبرّرا معقولا للتخلي عن تعاطيها أو تثقيف أولادنا بها.

احذر إذن أن لا تفعل ما يجب فعله، يا أقريطون، لا تبالي بمن يمارسون الفلسفة، سواء أكانوا جيّدين أو رديئين، لكن اخضع الموضوع لاختبار جدّي وكامل[138]، وإذا تبيّن لك أنّها تستحق الاحتقار أبعد عنها أولادك، وليس أولادك فقط، ولكن إذا تبيّن لك، على العكس من ذلك، أنّها كما أحكم عليها أنا نفسي، فاشرعوا من الآن في تحصيلها بشجاعة، وجدّوا في ذلك، كما يقال، من الأب إلى الأحفاد.

138 يطلب سقراط من أقريطون أن يفكر بنفسه في المسألة طبقا لما تقتضيه الفلسفة الحقيقية، وأن «يفعل ما يجب فعله» بعد أعمال عقله دون التأثر بالذين يمارسونها «سواء أكانوا جيّدين أو رديئين».

Mominoun
MominounWithoutBorders
@ Mominoun_sm

info@mominoun.com
www.mominoun.com